الْجَمْهُورِيَّةُ الْجَزَائِرِيَّةُ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ
وزارةُ التّعْلِيْمِ الْعَالِيُّ وَ الْبَحْثِ الْعَلْمِيِّ
جَامِعَةُ أحمّد دَرَايّة – أدرار

كُلِّيَةُ الآدابِ
و اللّغاتِ

قُسْمُ اللّغةِ و الأدَبِ
الْعَرَبِـيِّ

مَرَاثِي الشَّيْخِ مُحَمَّد بَاي بَلْعَالَم دِرَاسَةٌ أُسْلُوْبِيَّةٌ مَرْثَيَّتُهُ فِيْ الشّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ بَكْرَاوِيِّ "أُنْمُوْذَجاً"

مُذَكِّرَةُ تَخَرُّجٍ مُقَدَّمَةٌ لِنَيْلِ شَهَادَةِ الْمَاسْتَرِ فِيْ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ
تَخَصُّصُ : أدَبٌ جَـزائـريٌّ.

إعْدَادُ الطَّالِبِ :
مُحَمَّدُ فُوضَيْلُ

إشْرَافُ الدَّكْتـُورِ:
مُحَمَّدُ بَنْ عَبُّو

لجنة المناقشة :

الاسم و اللقب	الرّتبة	الجامـعة	الصّـفة
الــطّاهر مــشري	الأستاذ الدّكتور	جَامِعَةُ أحمّد دَرَايّة – أدرار	رئــيساً
محــمّد بـــن عبُّو	الدّكتور	جَامِعَةُ أحمّد دَرَايّة – أدرار	مشرفاً و مقرراً
عبد القادر قـصاصي	الدّكتور	جَامِعَةُ أحمّد دَرَايّة – أدرار	عضواً مناقشاً

السّنة الجامعيّة : 1438هـ/1439هـ - 2017م/2018 م

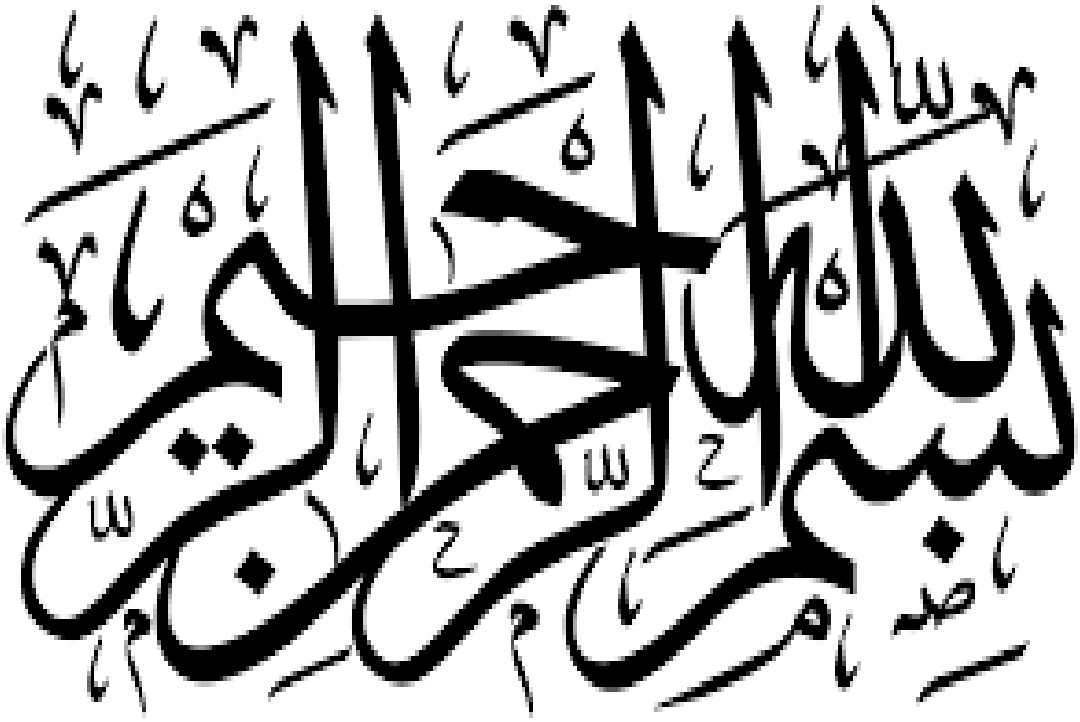
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء :

- إلَى أرواحِ أجْدَادَي كُلِّهِمْ .
- إلَى الْوالِدِيْنِ الْكَرِيْمِيْنِ أُمِيّ وَ أبِيّ، وكل أفراد عائلتي .
- إلى كُلِّ مَنْ عَلَّمُونِي الحرفَ و الكلمةَ و الجملةَ : مُعَلِمِي وَ أَسَاتِذَتِي الْأَمْجَادِ.
- إلى رُوْحِ الشّيْخِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ بَاي بَلْعَالَمِ .
- إلَى أَرْوَاحِ الْعُلَمَاءِ و الدُّعَاةِ والْعامِلِيْنَ الْمُخْلِصِيْنَ الْأَحْيَاءِ وَ الْأَمْوَاتِ.
- إلَى أرْوَاحِ شُهَدَاءِ فِلِسْطِيْنَ .
- إلَى كُلِّ مَنْ أَحَبَّنِي بِصِدْقٍ .

شُكْـرٌ وَعِرْفَانٌ

الحمدُ للهِ و الشّكرُ له ، أولاً ووسطاً و نهايةً ، ثُـمَّ الشُّكْرُ الْـجَزِيْلُ و العرفانُ غيرُ المنقطعِين لِلدّكتورِ المربيِّ الأستاذ المحترم "**محمّد بن عبو**" ، و الذي لم يدخر جهداً في نصحي و إرشادي و تعليمي و تنبيهي. كما أصلُ شُكري و عرفاني لكلّ الأساتذة و الدّكاترة المخلصين في توجيهي ، و إمدادهم يد المساعدة ، أخصّ بالذّكر : الدّكتور مداني رابحي ، والدّكتور صدّيق مقدم ، الدّكتور عبد الحق خليفي ، و الدّكتور عبد الله كروم ، والأستاذ الدّكتور الطّاهر مشري ، والدّكتور عبد العزيز بليلة ، و الدّكتورة كريمة صنباوي ، و الدّكتور المغيلي خدير، وكلّ أساتذة قسم اللّغة العربيّة و اللّغات بجامعتنا ، و الأستاذ الدّكتور محمّد تحريشيّ بجامعة بشار ، دون أن أغفل أصحاب الخزانات الخاصّة و العموميّة ، وعلى وجه الخصوص :

- الشّيخ أحمد بن مالك خليفة الشّيخ محمّد باي بلعالم بالمدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير بأولف ، ولايّة أدرار .
- الشّيخ محمّد الأمين حامد أمين خزانة الشّيخ محمّد باي بالعالم بالمدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير بأولف ، ولايّة أدرار.
- الأستاذ عبد القادر سيد اعمر مكلف بخزانة المدرسة الدّينيّة بالمهديّة تيمي – أدرار.
- الإمام عليّ مسعوديّ أمام أستاذ لدى مديريّة الشؤون الدّينيّة والأوقاف بأدرار.
- الأستاذ عبد الله حميدو مستشار التّربيّة بمتوسطة الشّيخ عبد القادر بن ديدي بتمنطيط .
- الأستاذ عبد الرّحمن بلباليّ أمين خزانة ملوكة تيمي – أدرار.
- أمناء المكتبة المركزيّة بالجامعة أحمد دراية .
- أمناء المكتبة العموميّة بولاية أدرار.
- أمناء مكتبة المركز الثّقافيّ الإسلاميّ بولاية أدرار.

كما أشكر كلّ من أسهم في بلورة أفكار البحث، سائلاً الله أن يكتب ذلك فـي موازينهم ، وأن يثيبهم عني خير الجزاء .

الحمد لله

مقدمة

الحمد لله الذي خلقنا من عدم ، ودفعنا عنا الشّرور و النّقم ، و جعلنا من أفضل الأمّم ، و أكرمنا بخير الرّسل ، سيّدنا محمّد صلّى الله عليه و سلّم ، حمْداً كثيراً ، طيباً مبارك فيه ، يسبق لحظات الإيجاد و الإمداد ، ويمتد مع نفحات الهدى و الرّشاد .

أمّا بَعْدُ :

يَعُجُّ أدبُنا العربيُّ بالكثير من الموضوعات التّي تستدعي العناية و الدّراسة ، و الرّثاء ، موضوع بالغ الأهمية ، شغل المهتمين بالنّاتج الأدبيّ والثّقافيّ العربيّ (علةً ، و عرضاً و غايةً) ، و لقد بلغتنا منه أعمالٌ رائدةٌ خالدةٌ ، لا يمكن لأي دَارس إغفالها ، طَبَعَتْ أمزجة أصحابها ، و وُسِمُواْ بها ، محمّلة بمعانيهم و أحاسيسهم و عواطفهم ، مصوّرة لأحزانهم وأقراحهم ، لَـمْ تَغِبْ عنها إلاّ أصواتهم الفيزيائيّة النّاقلة لدرجات التّأثر لحظة شعورهم بمرارة الفواجع ، لأنّها لحظة عابرة مائعة لا يحويها وعاء ، ولا قِبَلَ لقالبِ الألفاظِ على حَمْلِهَا.

لقد كان الرّثاء من الموضوعات البارزة ، فـي تراثنا العربيّ على اِمتداد الخطّ الزّمنـيّ ، و الجغرافيّ ، و منذ العصر الجاهليّ ، فالإسلاميّ و الأمويّ ، و العباسيّ، و الأندلسيّ.... ، اِنتهاء بالحديث فالمعاصر، و في دوائره المختلفة (المحليّ و الإقليميّ و العالميّ) ، إذ بكى النّساء و الرّجال جميعاً موتاهم و ندبوهم ، و قدّموا تعازيهم لذويهم ، و اِسترحموا الحيّ المميت ، ووقفوا على قبورهم – لمن أُتيحت له فرصة الوقوف – واستحضروا ذكرياتهم ، و ذكروا مناقبهم و خصالهم ، و تفكروا فيما جمع بينهم في الحياة ، و أظهروا حسرتهم ، و أبان عجزهم عن فعل شيء أمام مأساة الموت ، وضعفهم حيال لحظة الفراق ، لأنّه المصير المحتوم لكلّ نفس لا محالة ، و دوّنوا أو دُوِّنَ لهم أو عنهم ، ما أمكن تدويّنه ، فكان : رثاء الأهل و النّفس ، والملك و الوزير ، و العلماء و القادة ، بل حتى المدن و العجماوات :كرثاء قرطبة ، ودمشق ، والنّاقة و القطّة ، و الخيل و غير ها ، لِيُحْفَظَ ذلك للأجيال المتعاقبة .

ولقد حرص الرّثَاءُونَ في نصوصهم على التّعبير عن مآسيهم و تفجعاتهم ، و نقل مـشاعرهم ، و أحاسيسهم و عواطفهم المثخنة بالحسرة ، و مرارة الحزن ، و ضِيق نفوسهم ، و ثِقَلُ معاناتهم ، و نفاذ صبرهم – لا من رحم – و شدّة ألم الوجد و الفراق ، و استحالة الحياة و التّنعم بلذاتها بعد فقدهم لمحبيهم – بحسب تعبيرات بعضهم – فراحوا ينحتون في أذهان المتلقيّين صوّر مفقوداتهم ، بكُلِّ ما أوتوا من براعة في التّعبير ، و بلاغة في الأسلوب ، و حسن سبكٍ في الخطاب ، و ذاك ما يلفيه الدّارس أثناء فَحْصِهِ للأعمال الرّثائيّة ، نظماً كانتْ أو نثراً .

و ممن كتبوا في موضوع الرّثاء في عصرنا الحالي ، و في دائرة الأدب الجزائري الحديث و المعاصر : **الشّيخ محمّد باي بلعالم** ، إستطاع أن يُرسل دلاءه ، في بحر النّظم ، ليخرج لنا من معين فكره مجموعة من المراثي لبعض علماء منطقة الجنوب الجزائريّ ، شكّلت في مجموعها مادّة دسمة لموضوع بحثي هذا ، و الموسوم بـ: **مراثي الشّيخ محمّد باي بلعالم دراسة أسلوبيّة ، مرثيّته في الشّيخ عبد القادر بكراوي " أنموذجا"** .

هذا ما يدفعني للتّساؤل المستمر ، و طرح الإشكال التّالي : ما هي دوافع الشّيخ وأغراضه من تأليف مرثيّاته؟ وما هي خصائصه الأسلوبيّة في نّظم تلك المراثيّ ؟ واستجابة لجملة من الدّوافع منها : حداثة الموضوع و جدته في السّاحة العلميّة ، إذ لَمْ يُسبق له من قبل ، ولا أخفي تأثري بشخصيّة الشّيخ محمّد باي بلعالم سمتًا و علماً ، علاوة على الرّغبة في المساهمة و لو بالنّذر اليسير في إثراء المكتبة العرفيّة ، إحقاقاً لفضل الشّيخ ، وإنصافاً لمكانته العلميّة ، و للاستفادة من علومه المطويّة ، ونفض الغبار على آثاره و مخطوطاته المنسيّة .

ومن أجل تحقيق جملة من الأغراض على رأسها : معرفة بعض الظّواهر الأسلوبيّة (كالتّكرار ، والتّقابل و التّشاكل ، والانزياح) ، وكذا أفكار الشّيخ الإبداعيّة ، وميولاته الفنيّة الشّخصيّة ، و إسهاماته المعرفيّة في حقل الأدب و فنونه ، معتمداً في ذلك على المنهج التّاريخيّ الوصفيّ التّحليليّ ، و للإجابة عن ذلك الإشكال ، إعتمدتُ خطّة ، تكونت من ثلاثة فصول ، جاء الأول و الثّاني في صوّرة نظريّة ، أمّا الثّالث للتّطبيق ، نُجمل تلك الخطّة في العرض التّالي:

- **الفصل الأول : مفهوم الرّثاء و حضوره في الشّعر العربيّ قديماً و حديثاً . (نظريّ)**

عُرِض هذا الفصل النّظريّ في ثلاثة مباحث : (تعريف الرّثاء / أقسام الرّثاء/ نماذج شعريُة من الرّثاء قديماً وحديثاً).

- **الفصل الثّانيّ : الشّيخ محمّد باي بلعالم و إسهاماته العلميّة. (نظريّ)**

و هو فصل نظريّ كذلك ، جاء في ثلاثة مباحث متناولاً : (التّعريف بالشّيخ محمّد باي بلعالم / مؤلفاته / مرثياته).

- **الفصل الثّالث : الشّيخ محمّد في مرثيّته للشّيخ عبد القادر بكراوي "أنموذجا". (تطبيقيّ)**

ورد هذا الفصل التّطبيقيّ في ثلاثة مباحث : (ترجمة للشّيخ عبد القادر بكراوي /قراءة أسلوبيّة في المرثيّة / نقد المرثية تقويمها) ، تمّ التّطرق في القراءة الأسلوبيّة ، إلى أربع ظواهر أسلوبيّة هي: التّكرار على المستوى الصّوتيّ ، والتّشاكل في المستوى التّركيبيّ ، و التّقابل في المستوى المعجميّ ، و الانزياح في المستوى الدّلاليّ ، دراسة أسلوبيّة متكاملة شبه شموليّة .

– **خاتمة** : تضمنت جملة من الاستنتاجات المتوصل إليها من خلال البحث ، و بعض التّوصيّات .

للعلم أنّي لم أُحظ بدراسة سابقة تطرّقت لموضوع الرّثاء عند الشّيخ محمّد باي ، وكان مصدري الأساسيّ في البحث ، كتاب الشّيخ محمّد باي بلعالم " **الرّحلة العليّة** "، و مجموعة نسخ من مراثي الشّيخ بصفة

مخطوطات ، اِعترضني جُمْلَةٌ من الصّعوبات ، أهمها : الغياب التّام للدّراسات السّابقة و المعينة على تناول الموضوع ، وورود الكثير من الزّحافات و العللِ في أغلب هذه المرثيّات ، تسبب في كثرة الكسور العروضيّة في بعض أبياتها ، مما اِضطرني إلى تعديل ما أمكن منها .

و حتى تعمّ الفائدة و يحصل الغرض من هذا الجهد المقلّ ، أترك للباحث القارئ الكريم الحريّة المطلقة ، من أجل الاستمتاع بهذه الصّفحات ، راجياً من الله العون و التّوفيق و السّداد و القبول .

محمد بن أحمد فوضيل

أدرار يوم : الاثنين 30 رجب 1439هـ

الموافق 16أبريل 2018 م

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ :

مَفْهُوْمُ الرِّثـاءِ وحُضُوْرُهُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ

قَـدِيْماً وَحَـدِيْثاً .

المبحث الأول : تعريف الرّثاء (لغة – اِصطلاحاً).

المبحث الثّانيّ : أقسام الرّثاء .

المبحث الثّالث : نماذج من الرّثاء في الشّعر العربيّ قديماً و حديثاً.

الفصلُ الأولُ : مفهومُ الرّثاءِ و حُضُوره فِي الشّعرِ العربيِّ قَدِيْماً و حَدِيْثاً .

المبحثُ الأولُ : تـعريفُ الرّثاءِ .

أ– لُغَةً :

يقولُ ابن فارس (ت 395 هـ) في معجم المقاييس في اللّغةِ : « رَثَى : الرّاءُ والثّاءُ والحرفُ المعتلُ أُصَيْلٌ يدلُّ على رِقّةٍ وإشفاقٍ . يُقَالُ رثَيْتُ لفُلان :رقَقْتُ ، ومن البَابِ قَولُهُمْ : رَثَى الميِّتَ بِشِعْرٍ ، ومن العرب من يقول : رَثَأْتُ ، وليْسَ بِالْأصْلِ ».[1]

يَقُولُ ابنُ منظور (ت 711هـ) فِي لِسَانِ العربِ :« رَثَى فُلاَنٌ فلاناً يَرْثِيهِ رَثْياً ومَرْثِيَةً إِذَا بَكَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ. فَإِنْ مدَحَه بَعْدَ مَوْتِهِ قِيْلَ رثَّاهُ يُرَثِّيه تَرْثِيةً. ورَثَيْتُ الميّتَ رَثْياً ورِثاءً ومَرْثاةً ومَرْثِيةً . ورَثَّيْتُه: مَدَحْتُه بعد الموتِ وبَكَيْتُه . و رثَوْتُ الميِّتَ أَيضاً إذا بَكَيْتُه وعدَّدتُ محاسنه ، وكذلك إذا نظَمْت فيه شعراً ». [2]

و يقول أيضا : « و رَثَتْ المرأةُ بَعْلَهَا تُرْثِيهِ وَ رَثَيْتُهُ تَرْثَاهُ رِثايةً ، و اِمرأةٌ رَثَّاءَةٌ و رَثَّايَةٌ : كَثِيْرَةُ الرِّثَاءِ لِبَعْلِهَا أو لِغَيْرِهِ مِمَنْ يُكْرَمُ عِنْدَهَا تَنُوحُ نِياحَةً » .[3]

و يُعَرِّفُ نَجْمُ الدّيْنِ أَحْمَدُ بَنُ الأَثِيْرِ الْحَلَبِيُ (ت 737هـ) الرِّثَاءُ في كتابه جوهر الكنز : « الرِّثاءُ مَصْدَرُ رَثَيْتُ ، و معنى رَثَيْتُ فُلَاناً : إِذَا بَكَيْتُهُ و عَدَدْتُ مَحَاسِنَهُ ، و تَقُوْلُ : رَثَى فُلَانٌ لِفُلَانٍ : إِذَا رَقَّ لَهُ ، لِأَنَّ الميِّتَ تخشَعُ لَهُ الْقُلُوبُ و تَرِقُّ لَهُ النَّفْسَ » . [4]

يُسْتنتج من هذه التّعريفات اللّغويّة السّابقة، أنّ معاني الرّثاء يُـمْكِنُ أنْ تُجْمَلَ فـي أربعة معاني هي : الرّقةُ ، و النّوح ، و البكاء ، و تعداد المحاسن . و كلّها تحمل في دلالاتها العميقة و معانيها الدّقيقة ، معنى الحزن على فقد أمر عزيز ، والحسرة على سالف فَرَطَ لا يمكن استرداده ، و التّسرية بذكر كلّ ما له صلة بذلك المفقود : كذكر مكانته في القلوب ،تعداد آثار ، و مناقبه و محاسنه.

1– معجم المقاييس في اللّغة ، أبي الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق شهاب الدّين أبو عمرو ، ط 01 ، دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، بيروت – لبنان ، 1432– 1433 هـ / 2011 م ، ص: 442.

2– لسان العرب ، أبو الفضل محمّد بن منظور ، ط 01 ، دار صادر – بيروت ، 1300 هـ ، مج 14 ، ص309.

3– المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

4 – جوهر الكنز " تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليـراعة " ، نجم الدّين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبيُ ، تحقيق محمّد زغلول سَلام ، (د .ط) ، النّاشر منشأة المعارف بالإسكندريّة ، الإسكندريّة – مصر ، 2009 م ، ص 531 .

ب–اِصطلاحاً:

من التّعريف اللّغويّ السّابق و ما شَاكَلَتْهُ من تعريفاتِ لغويّةٍ ، نَلْفِي الأدباءَ و النّقادَ المهتمين بالشّعرِ قديماً و حديثاً، يجتهدون في تعريفهم للرّثاءِ ،« و يبدو أنّ النّقادَ العربَ لم يفرقوا بين كلمتي الرّثاءِ و التّأبين ، و كانوا يضعون إحدى الكلمتين موضع الأخرى » [1] ، نذكر بعض تلكم التّعريفات ، قصراً لا حصراً فيما يلي :

يقول الأصمعي(ت 210 هـ): « وطريق الشّعر إذا أدخلته في باب الخير لاَنَ، ألا ترى أنّ حسّاناً بن ثابت كان عَلاَ في الجاهلية والإسلام ، فَلَمَّا دَخَلَ شِعْرُهُ في باب الخيرِ من مراثي النّبيّ وحمزة وجعفر رضوان الله عليهم لاَنَ شِعْرُهُ ».[2]

أورد أبو زيد القُرَشِيّ (ت170هـ) الرّثاءَ في كتابه جمهرة أشعار العرب ضمن الباب السّادس باسم"المراثي" .[3] و ذكره ابن سلاّم (ت231هـ) في كتابه طبقات الشّعراء ، بعنوان فرعيّ أسماه " أصحاب المراثي " [4] ، ويُورد الجاحظُ(ت 255هـ) في كتابه البيان و التّبيين مصطلح(الرّثاء) بمعناه العام : أيّ فنّ الرّثاء ، و الخاص أي بكاء الميّت وإحصاء محاسنه.واِعتبر ابن قتيبة الدّينوري (276هـ) أوس بن حجر أحسن‌منا اِبتدأ مرثيّة في قوله:

أيّتُهَا النَّفْسُ أجملي جَزَعاً إنّ الذي تحذرين قَدْ وَقَعَا [5]

لقد وازن قُدامة بن جعفر (337هـ) بين المرثيّة والمدح بقوله: « إنّه ليس بين المرثيّةِ و المدْحةِ فَصْلٌ إلّا أنْ يُذكر في اللّفظ ما يدُلّ على أنّه لهالِكٍ ، مثل ((كان)) و((تولّى)) ، و ((قضى نحبه)) ، وما أشبه ذلك ». [6]

و في مقولة أخرى يُجَلِّي لَنَا قُدَامَةُ بن جعفر(ت337 هـ) صورةَ شِعْرِ الرّثاءِ بقوله :« و من الشّعرِ من يَرْثِي بذكرِ بُكَاءِ الأشياءِ التي كَانَ الميّتُ يُزاولُها ».[7]

وقال ابن رشيق القراوني(ت456هـ) موازناً ومجلياً : «وليس بَيْنَ الرّثاءِ والمدْحِ فَرْقٌ، إلا أن يُخْلَطَ بِالرِّثَاءِ شَيْءٌ يَدُلُ على أنّ المقصُودَ به ميّتٌ، مثل((كان)) أو ((عَدِمْنَا بِهِ كَيْتَ و كَيْتَ)) أو ما شَاكَلَ هذا ، لِيُعْلَمَ أنَّهُ مَيِّتٌ، وسبيلُ الرّثاءِ أنْ يَكُونَ ظَاهِرُ التَّفَجُّعِ ، بَيِّنَ الْحَسْرةِ ، مخلوطاً بالتّلهُّفِ والْأَسَفِ والاسْتِعْظامِ، إنْ كَانَ الميِّتُ مَلِكاً ، أو رئيساً كبيراً ».[8]

1- المصطلح النّقدي في التّراث الأدبيّ العربيّ ، محمّد عزّام ، دار الشّرق العربيّ ، بيروت – لبنان ، ص184.

2 – فحولة الشّعراء ، أبو سعيد الأصمعيّ ، تحقيق عبد المنعم خفّاجيّ ، دار القلم للتّراث ، القاهرة – مصر ، ص39 .

3- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الإسلام ،أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق و ضبط وشرح عليّ محمّد البجاويّ ، نهضة مصر، ص534.

4- طبقات الشّعراء ، محمّد بن سلاّم الجمحيّ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، 1422هـ - 2001م ، ص82.

5 – المصطلح النّقدي في التّراث الأدبيّ العربيّ ، المرجع السّابق ، ص 184.

6- نقد الشّعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، ط01، 1302هـ ، ص 33.

7- المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

8 – العمّدة في صِنَاعَةِ الشّعر و نقدِه ، أبوعلي الحسن بن رشيق القيروانيّ ، تحقيق النّبويّ عبد الواحد شعلان ، الطّباعة الـــدّوليّة للنّشر ، ط01 ، 1420هـ - 2000 م ، ص 831 .

و يؤكد حازم القرطَاجَنيّ (ت684هـ) على ضرورة تميز الرّثاء في ألفاظ خاصة ، ذات دلالة و مقصديّة ، و مناسبة لمقام الشّجن في قوله :« وأما الرّثاء فيجب أنْ يكون شاجيَ الأقاويل ، مُبكيَ المعاني ، مثيراً للتّباريح ، و أن يكون بألفاظ مألوفةٍ سَهْلةٍ في وزنٍ متناسبٍ ملذُوذٍ ، وأن يستفتح فيه بالدّلالة على المقصد ، و لا يُصَدَّر بنسيب ، لأنّه مناقض لغرض الرّثاء ، و إنْ كان هذا قَد وقع للقدماء نحو قصيدة دُرَيد يُرثي أخاه التي أَوَّلُها :

أرَثَّ جـديدُ الحَبْلِ من أُمِّ مَعْبَدٍ بـعاقبةٍ أُمِّ أخْـلَفَتْ كُلَّ مَـوْعِدِ

و في قصيدة للنّابغة يرثي بعض آل جفنة و هي من بحر الطويل يقول فيها :

دعاك الهوى و اِسْتَجْهَلَتْكِ المنازِلُ و كيف تَصابي المرءُ و الشّيْبُ شامِلُ

و في قصيدة من بحر الرّجز لعَديّ بن زَيد يرثي ولده علقمة قال :

أعـرفت أمـس مـن لميس طـلل مـثل الـكتابِ الـدّارسِ الأحوالِ ».[1]

يعرّفـه إميْـل ناصـيف ف قولـه : « الرّثـاء فـن مـن فنـون الشّـعر الغنـائيّ يعـبر فيـه الشّـاعر عـن حزنـه ، و تفجّعه لفقدان حبيب ».[2]

و يعرّفه شوقي ضيف(ت 2005م) في مقدمة كتابه الرّثاء بقوله :« الرّثاء من الموضوعات البارزة في شعرنا ، إذ طالما بكى شعراؤنا من رحلوا عن دنياهم و سبقوهم إلى الدّار الآخرة ، و هو بكاء يتعمق في القدم منذ وجد الإنسان ، و وجد أمامه هذا المصير المحزن : مصير الموت و الفناء الذي لابد أن يصير إليه ، فيصبح أثراً بعد عين ، و كأن لم يكن شيئاً مذكوراً ».[3]

يُلاحظ في هذه التّعريفات الاصطلاحيّة حملها لمعاني مشتركة لمفهوم الرّثاء ، يمكن إجمالها في البكاء ، و الحسرة و التّفجّع ، و الحزن على المفقود .

من التّعريف اللّغويّ و الاصطلاحيّ يظهر للقارئ التداخل و التّقارب الشّديد بين معاني الرّثاء ، إلى درجة التّوافق ، فكلا التّعريفين يؤكد على المعاني الدّقيقة للرّثاء، والتي تلخص في الحزن على المفقود، والبكاء على الميت ، وحسرة القلب على فراقه ، وتّفجعه من حالة فقد ، و تعداد المحاسن والآثار و المناقب التي تركها بعده.

---

1 – منهاجُ البُلغَاء و سِرَاجُ الأدَباءِ ، أبو الحسن حازم القرطاجنيّ ، تقديم محمّد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلاميّ ، بيروت – لبنان ، ط 03 ، ص ص351 ، 352 ، وينظر : معجمُ مصطلحات النّقد العربيّ القديم ، أحمد مطلوب ، مكتبة ناشرون ، بيروت – لبنان ، ط01 ، 2001م ، ص234 .

2– أروع ما قيل في الرّثاء ، إميل ناصيف ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط02 ، ص05.

3– الرّثاء ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط01 ، 1987، ص 05.

المبحثُ الثّاني : أقسام الرّثاء :

ينقسمُ الرّثاءُ في التّراث العربيّ قديمه و حديثه إلى ثلاثة أنواع ، بحسب تصنيف شوقي ضيف (ت 2005م) في كتابه الرّثاء إذ يقول: « و للرّثاء ألوان ثلاثة وهي النّدب، والتّأبين ، والعزاء ».[1]

أ – النّدبُ:

يعرّفه محمّد عزّام بقوله :« هو بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت ، فيَئِنُ الشّاعَرُ و يَتَفَجَّعُ ».[2]

و يعرّفه شوقي ضيف (ت2005 م) بقوله :« النّدب هو النّواح و البكاء على الميّت بالعبارات المشجيّة ، و الألفاظ المحزنة التي تصدّع القلوب القاسيّة و تذيب العيون الجامدة ، إذ يُولولُ النّائِحون و الباكون ، و يصيحون و يعولون مسرفين في النّحيب و النّشيج و سكب الدّموع ».[3]

ب – التّأبين :

يوضّح محمّد عزّام معنى التّأبين بقوله : « فليس بنواح ولا نشيج كالنّدب ، بل هو أقرب إلى تعداد الخصال و إزجاء الثّناء ، إنّه تنويه وإشادة بشخصية لامعة ، أو عزيز ذي منزلة في عشيرته أو مجتمعه ، وهو تعبير عن حزن الجماعة على الفقيد أكثر منه تعبيرًا فرديًا عن ذلك ».[4]

كما يكشف لنا شوقي ضيف (ت 2005م) عن أصل التّأبين فيقول بهذا الصدد : « أصل التّأبين الثّناء على الشّخص حياً و ميتاً ، ثم اقتصر إستخدامه على الموتى فقط ، إذ كان من عادة العرب في الجاهليّة أنْ يقفوا على قبر الميّت ، فيذكروا مناقبه ، و يعددوا فضائله ، و شهروا محامدَه ، و أصبح من سننهم وعاداتهم ، و لو لم يقفوا على القبور كأنّهم يريدون أنْ يحتفظوا بذكرى الميت على مرّ السّنين ».[5]

ت– الْعَــزَاءُ :

يشرح محمّد عزّام معنى العزاء في المصطلح النّقدي بقوله: « أمّا العزاء فهو في مرتبة عقلية فوق مرتبة التّأبين ، ينفذ فيها الشّاعر من حادثة الموت الفرديّة إلى التّفكير في حقيقة الموت و الحياة ، وقد ينتهي به هذا التّفكير إلى معان فلسفيّة عميقة ».[6]

1- المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

2 – المصطلح النّقديّ في التّراث العربيّ ، المرجع السّابق ، ص 185.

3 – الرّثاء ، شوقي ضيف ، المرجع السّابق ، ص 12.

4 – المصطلح النّقديّ في التّراث العربيّ ، المرجع السّابق ، ص 185.

5- الرّثاء ، المرجع السّابق ، ص 54.

6 – المصطلح النّقديّ في التّراث العربيّ ، المرجع السّابق ، ص 185.

و يُنْبِأُ شوقي ضيف(2005م) عن أصل العزاء بقوله : « و أصل العزاء الصّبر ، ثم اقتصر استعماله في الصّبر على كارثة الموت ، و أن يرضى مَنْ فقد عزيزاً بِمَا فَاجَأَهُ بِهِ القَدَرُ ».[1]

يستنتج من معاني السّالفة بأنّ الجامع بين أقسام الرّثاء الثّلاثة (النّدب ، التّأبين ، والعزاء) ، صلتها بالبكاء على الميت ، والنّياحة عليه ، لهول الفاجعة ، ووطأة الفَقْدِ على القلب ، وشدة آلـــم الفراقِ و الوجْدِ ، والحزنِ على الميت والحسرة ، وبـيان العـجز وإنتفاء القدرة على اِسترداد المفقود ، أو الاستعاضة عنه ، والاكتفاء بتعداد محاسنه ، وذكر مناقبه ، و تذّكر خصاله و آثاره بغية التّخفيف على النّفس في مصابها الجلل.

1 – الرّثاء ، المرجع السّابق ، ص 86.

المبحث الثّالث : صور و نماذج من الرّثاء قديماً و حديثاً :

إنّ المتتبع لقصائد الرّثاء ، يلفي العرب قد عرفوا هذا الفن منذ العصر الجاهليّ إلى تِي اللحظة الحاضرة ، و في الشّعر العربيّ ثروة عظيمة من الرّثاء عبر العصور المختلفة قديماً و حديثاً ، و قد إشترك النّساء و الرّجال جميعاً يندبون موتاهم ، مع تباين فنيّ ، « و الصّورُ التي بين أيدينا من هذا الرّثاء ، صور فنية راقية ، إذ نراها تعبر عن شعور عميق بالحزن و الألم ، و مثل هذا التّعبير تسبقه مراتب كثيرة من تعبيرات ساذجة عن الموت و الموتى، و لكّنّ هذه التّعبيرات لا نجدها في الشّعر الجاهليّ ، لأنّه كان قد فارق المراحل الأولى ، و إنتهى إلى مرحلة فنية راقية ».[1]

وانطلاقاً من ذلك الإدراك ، صدرت صورٌ متباينةٌ عن الشّعراء العرب ، نذكر منها : رثاء النّفس و الأبناء و الأزواج ، و الزّوجات و رثاء المحبوب ، ورثاء الإخوة و الأصدقاء ، ورثاء الأهل ، و رثاء المدن و القرى و الدّيار، ورثاء الحيوانات ، ورثاء الشّخصيّات الهامّة الدّينيّة و السّياسيّة من الأمراء و الخلفاء والوزراء و القادة ، و الجنود و الشّهداء و القضاة و العلماء ، الذين تُعدّ موتهم خسارةً ، فقدانهم مصيبةً أو بلوى عظيمة .

أ – من الشّعر العربيّ القديم :

إن أشهر مَن بكبت واستبكت في الجاهليّة: الخنساء (ت24هـ) ، إذ قتل أخوها معاوية في بعض غاراته ، فعقدت عليه مأتما ضخما من النواح ، فأثار ذلك أخاها صخراً، فثأر له، ولكنه جرح جرحا بليغاً أدّى إلى وفاته . فعادت إلى نواحها بأشد مما كانت. ومن مشهور رثائها لأخيها صخر قولها [من البحر البسيط] :

قَـذىً بعَينِكِ أمْ بالـعَيـنِ عُـوّارُ أمْ ذَرَفَتْ إذْ خلَتْ مِنْ أهلِها الدّارُ
كـأنّ عـينـي لِـذكـراهُ إذا خَـطَـرَتْ فـيضٌ يَسيلُ على الخَدّين مِـدرارُ
تبكي لصخرٍ هي العَبْرَى و قدْ وَلِهَتْ ودونَـهُ من جديد التّرْبِ أستارُ [2]

و هاهو مالك بن الرّيب التّميميّ (ت 58هـ) يرثي نفسه و يودعها قبل موته ، مسرفاً في الحزن و البكاء و الأسى على ما فرط من العيش الرّغد ، و تعدّ مرثيته من أروع المراثي و أجملها ، التي قالها العرب قبل الموت ، يقول في مطلعها :

أَلاَ لَـيْتَ شِـعْري هَـلْ أبَـيْتَـنَّ لَيْلَةً بِجَنبِ الْغضَى أُزْجِي القِلاَصَ النَّوَاجِيَا
فَلَيْتَ الْغَضَى لَـمْ يَقْطَعِ الرَّكْبُ عَرْضَهُ ولَـيْتَ الْـغَضَى مَـاشَى الـرِّكَابُ لَيَالِيَا [3]

---

1 –الرّثاء ، المرجع السّابق ، ص 07 .

2– ديوان الخنساء ، شرحه حمدو طمّاس، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط 02 ، 1425هـ/2004 م ، ص45.

3– جمهرة أشعار العرب ، المرجع السّابق ، ص 607 .

الْغَضَى :شجر ينبت في الرّمل. أُزجي : أسوق. النّواجِي : السّرَاع . القِلاَص : جمع قلوص ، و هي النّاقةُ الفتيةُ .

ولـمّا قُتِلَ مالك بن نويرة في حرب الرّدة ، رثاه أخوه الشّاعر المخضرم متمّم بن نويرة (ت نحو 30 هـ) ، إذ رثاه رثاءً حارّاً ، حتى بيضت عيناه من فرط الحزن ، و صار ما قاله فيه مضرباً للأمثال ، و من أجود ما قاله فيه:

لَقَدْ لاَمَنِي عند القبورِ على الْبُكا صَدِيْقِي لتَذْرافِ الدُّمُوعِ السَّوَاقِكِ
يقول : أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأيتَهُ لَقَبْرٍ ثَوَى بين اللِّوى فَالدَّكادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ:إِنَّ الشَّجَى يَبْعَثُ الشَّجَى فَدَعْنِي ، فهذا كُلُّهُ قَبْرُ مالكِ
أبَى الصَّبْرَ آياتٌ أرَاهَا وإِنَّنِي أرى كُلَّ حَبْلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا[1]

كما نجد الصّحابيّ الجليل حسّاناً بن ثابت (ت54هـ) رضي الله عنه ، يقول في رثائه للرّسول صلّى الله عليه و سلّم [من البحر الطّويل] :

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ ومَعْهَدٌ مُنِيرٌ وقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وتَهْمَدُ
وَلاَ تَنْمَحِي الآيَاتُ من دارِ حُرْمَةٍ بها مِنْبَرُ الهادَي الذِي كان يَصْعَدُ
....
معالِمُ لم تطمسْ على العهدِ آيُهَا أتَاهَا البِلَى ، فالآيُ منها تَجَدَّدُ
عرفتُ بها رسمَ الرّسولِ وعَهْدَهُ وَقَبْراً بِهِ وَارَاهُ في التُّرْبِ مُلْحِدُ[2]

و استمر حسّان بن ثابت رضيّ الله عنه في مرثيّته الشّهيرة هاته ، يسكب من الدّموع و العبرات حزناً و بكاء على فقدان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، واصفاً حال الصّحابةَ رضوان الله عليهم جميعاً ، و هم في شدّة من الأسى و الكمد ، و الحسرة ، و مرارة الحزن ، و وطأة الفاجعة ، الصّبر سلواهم في مصابهم و البكاء إذ يقول في ذلك [من البحر الطّويل] :

ظَلَلتُ بها أبكي الرّسولَ فأسعدت عيونٌ ومَثْلاهَا مِن الجفنِ تسعدُ
فَبُورِكتَ يا قبرَ الرّسولِ وبُورِكتْ بِلاَدٌ ثَوى فِيْهَا الرَّشِيدُ المسددُ
وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبيُّهم وقد وَهَنَتْ منهم ظُهُورٌ وأعضدُ
....
فيبكونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَواتُ يُومَهُ ومَنْ قَدْ بَكَتْهُ الأرضُ فالنّاسُ أكمدُ
وَمَا فَقَدَ المَاضُونَ مِثْلُ مُحَمّدٍ و لَا مِثْلُهُ حَتَّى القَيَّامةِ يُفْقَدُ[3]

1- أروع ما قيل في الرّثاء ، إميل ناصيف ، المرجع السّابق ، ص 21.

2 – ديوان حسان بن ثابت ، شرحه وكتب هوامشه وقدّم له ، عبد أ علي مهنا ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط02، 1414هـ / 1994 م ، ص ص 60 ، 61.

3 – المرجع نفسه ، ص ص 61 ،63 .

و ها هو أبو البقاء صالحُ بن شريفٍ الرّنديُّ (ت 684هـ) يَرْثِي الأندلس و التي دامت في ملك المسلمين قرابة ثمانية قرون ، في قصيدة تعدّ من أروع القصائد في العصر الأندلسيّ ، يقول في مطلعها :

لِكُــلِّ شَيْءٍ إِذَا مَــا تَــمَّ نُقْصَانُ فَـلَا يُــغَرَّ بِـطِيبِ العَيـْشِ إِنْسَانُ

هِــيَ الأُمُورُ كَـمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ مِــنْ سَــرَّهُ زَمَــنٌ سَــاءَتْهُ أَزْمَانُ [1]

و يواصل أبو البقاء الرّندي (ت 684هـ) تحسّره ، و تألـمه ، و حزنه على خسارة هذه الرّقعة الثّمينة ، و التي ضاعت من يد حكام الـمسلمين بسبب طغيانهم و فسادهم ،بعدهم عن مهج الله ، و اعتبر ما حدث من الفواجع و الرّزايا التي أَلَمَّتْ بالمسلمين و ديارهم ، يقول في ذلك :

دَهَــى الجَــزِيرَةَ أَمْــرٌ لَا عَزَاءَ لَـهُ هَــوَى لَــهُ أُحُــدٌ وَ انْهَدَّ ثَهْلَانُ

أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإِسْلَامِ فَـارْتَـزَأَتْ حَــتَّى خَــلَتْ مِـنْهُ أَقْـطَارٌ وَبُلْدَانُ [2]

لم يكن الشّاعر العربيّ أنانياً جامد العواطف، بليد الإحساس، جافيَ الطِّباع ، منساقاً وراء ، غرائزه وانفعالاته الذّاتية ، بل كان مرهف الحسّ ، ذوّاقاً لكلّ ألوان الجمال ، مشاركاً ما ساكنه على هاته البسيطة أحواله ، فكان للجمادات والعجماوات حظٌّ من الذّكر ، فكما رثى الشّاعر أهلها و نفسه ، و موطنه ، و أمراءه ، و علماءه ، رثى ما حوله ، و رزقه و متاعه و حيوانه : كالقمر ، و الزّمن ، كالطّير ، الحمار ، و الجواد ، و النّاقة ، و العنزة ، و الـهِرَّة و ما شابه ذلك .

وقد روى لنا الجاحظ (ت255هـ) في كتابه "الحيوان" أبياتاً مؤثرة من قصيدة الأعرابي في رثاء شاة له كان يسميها : وردة ، ويجعل كنيتها : أم الورد ، فأكلها الذّئب مع الصّبح ، وترك صغارها أيتاماً بعدها، فراح الأعرابيُّ يبكيها ، ويأ لم لحال صغارها من بعدها، ويجد فيها سلوة و تسرية عنها فيقول:

أودَى بـوَردةَ أُمِّ الْوَرْدِ ذُوْ عَـسٍ مِــن الذِّئَابِ إِذَا مَا رَاحَ أو بَــكَــرَا

لَــوْلَا اِبنُهَا وَسَلِيْلَاتٌ لَهَا غُــرَر مَا اِنْفَكَّتِ الْعَيْنُ تذْرِي دَمْــعَهَا دِرَرَا

كَأَنَّمَا الذّئبُ إِذْ يَعْدُو عَلَى غَنَمٍ فِي الصُّبْحِ طَــالبُ وِتْـرٍ كَانَ فـاتأرا [3]

ورثى ابن العلاف (ت318هـ) هرّاً عزيزاً عليه في قصيدة له ، يقول في مطلعها :

---

1 – أروع ما قيل في الرّثاء ، إميل ناصيف ، المرجع السّابق ، ص 81.

2– المرجع نفسه ، ص 82.

3 – الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السّلام هارون– ط02 ، ج02، مصر، 1375هـ–1985م ، ص203 .

يـَا هِـرُّ فَـارقْــتَنا ولَـمْ تَــعُـدِ وكُـنْـتَ عِنْـدِي بـمنزِلِ الـولدِ
فَكَيْفَ نَنْفكُّ عَن هَواكَ وقــد كُــنْـتَ لَــنَا عُــدَّةَ الـعُـــدَدِ
تَـطْـرْدُ عَـنّا الأذى وتَـحرسُنا بالـغيبِ مـن حَـيَّةٍ ومـن جُرَدِ
وتُـخــرِجُ الفـأرَ مـن مَكَامِـنِها مَـا بَيْنَ مَفْـتُوحِها إلى السُّدَدِ[1]

من خلال عرض هذه النّماذج والقراءة الفاحصة لها ، يتبَيَّن للباحث مدى اهتمام العرب الأوائل منذ العصر الجاهليّ ، و الذي عُرِفَتْ فيه مواقف كثيرة من الرّثاء ، كانت النّساء على رأس النّائحين ، إذا شققن جيوبهن ، و لَطَمْنَ خُدودهن ، و كَشفنَ شعرَ رؤُوسَهن ، واستُأجرتْ النّائحات لبيوت العزاء ، وكانتْ اليدُ الطّولى للشّعراء –رجالاً ونساءً– في التّعبير عن مشاعر المصابين و نَقَلَ أحاسيسهم ، فنقلوا التّسخط والتّبرم ، والولولة والتّفجّع، وكلّ ما له صلة بالجزع والفزع ، وعدم الرّضا بما وقع .

لكّنّ لـمّا فتح الله على أمّة العرب بالإسلام ، و اِتصل لسانها بلغة القرآن ، هُذِّبَتْ ألفاظها ، وضُبِطَتْ مشاعرُها ، و اصطبغتْ أحاسيسُها بروح الإسلام ، و اغترفت نصوصها خصوصاً الشّعريّة من معين القرآن الكريم ، وصُقلت أساليب لغتها ، و عُرِضَتْ في قوالب عِدَّةٍ ، كان للرّثاء نصيبٌ ، و الذي رَسَمَتْ قصائده منذ فجر الإسلام حياة العرب في صورة مهذّبة ، اِختفت منها ألفاظ الجزع و السّخط ، و عدم الرّضا بالقضاء ، بل كان التّسليم بما قدّر الله ظاهرٌ ، و الاسترجاع لله بيّنٌ ، وذُكِرَ الدّعاءُ للميت و الحزنُ عليه جنباً لجنبٍ ، وكان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أفضل من فُقد ، وأظهر من بُكي عليه .

ب–الشّعر العربيّ الحديث :

سنكتفي في هذا المقام بذكر نموذجين فقط ، الأول منهما ، مرثيّة الشّاعر المصريّ محمّد حافظ إبراهيم (1871م – 1932م) ، قالها في رثاء الشّيخ محمّد عبده رحمة الله عليه ، يقول في بعض أبياتها [من البحر الطّويل] :

سَـلاَمٌ عَـلَى الإسْـلاَمِ بَـعْـدَ مُـحَـمَّـدٍ سَـلاَمٌ عَـلَى أَيَّـامِـهِ النَّـضِـرَاتِ
عَلى الدّينِ و الدّنيا ، على العلمِ و الحِجَا عَـلى البِـرِّ والتُّقوى عَلَى الحسناتِ
....

1 – القصيدة الهريّـة في رثاء اِبن المعتز تأصيل و تاريخيّ وفنيّ ، صالح أحمد رشيد ، مجلّة الأستاذ ، العدد الخاص بالمؤتمر العلميّ الخامس ، قسم اللّغة العربيّة ،كليّة التّربيّة للبنات ، الجامعة العراقيّة ، العراق ، 2017 هـ– 1438هـ ، ص36 .

لَقَدْ كُنْتُ أخشى عَــاديَ المـوتِ قـبله فأصبحتُ أخشى أنْ تَطُولَ حَياتِي
فـَوَا لَهْــفِي– و الـقَبْرُ بَـيْنِي وَ بَـيْنَه- عَـلَى نَـظرةٍ مِنْ تِـلْـكُمُ النَّظـــرَاتِ[1]

أمّا النّموذج الثّانيّ ، فهو مرثيّة الشّاعر اللّبنانيّ جورج غانم المولود 1943 م ، قالها في رثاء والده ، و هي من شعر التّفعيلة ، يقول فيها :

وَعُدْنا ، و شَدَّ الْفَرَاغُ عَلَيْنَا
وَ أَقْفَرَتِ الْأَرْضُ أَنَّى مَشَيْنَا
وَ خِفْنَا نُرَدِّدُ اِسْمَكَ خِفْنَا نُرَدِّدُ شِعْرَكْ
فذِكْرَاكَ نَهْرٌ مَن النَّارِ يَجْرِي إِلِيْنَا
وَ حِيْنَ عَرَفْنَاكَ أَنَّكَ أَمْسِيْتَ وَحْدَكْ
بَكَيْنَاكَ حَتَّى بَكَيْنَا خُلُودَكْ بَعْدَكْ. [2]

هذه النّماذج من المراثيّ ، و في مجملها قديمها و حديثها ، نقلت أحاسيس أصحابها للمتلقيّ العادي قبل الدّارس المتّعَمِق ، و صدق عواطفهم الجياشة ، و صفاء سرائرهم ، و حسراتهم المتألمة ، و شدّة تعلقهم بمن فقدوا ، محاولة منهم لتسرية أنفسهم بغية التّخفيف من وطأة الفواجع ، و المآسي و الرّزايا ، التي حلت بساحاتهم ، و مَلأَتْ وعاء قلوبهم بكل الأحاسيس و المشاعر الحزينة ، و ربطت على عقولهم في كل لحظات أيّامهم الخاليّة ، و ذكرياتهم الجميلة الماضيّة .

مما تجدر الملاحظة إليه ، نجد أن أغلاب المراثي يُستعمل فيها البحر الطّويل ، و هو شائع الاستعمال ، قد يعزى سبب شيوعه لإمكاناته المتسعة ، من خلال تفعيلاته المتميزة بالقوة و الرّصانة ، و القدرة على استيعاب كل الحالات الشّعوريّة والنّفسيّة للشّاعر،كما يتيح للشّاعــر التّوظيف فــي شتى الموضوعات، فاستعماله يحتاج إلى طول النّفس ، و القدرة على الاستمراريّة ، و البـراعة وحسن التّوظيف .

وفي الفصل الثّانيّ سنقف – بعون الله – عند الشّيخ محمّد باي بلعالم ، و نتبيّن عن كَثَبٍ ما قدّمه في حياته للإنسانيّة عموماً ، و للأدب الجزائريّ الحديث و المعاصر على وجه الخصوص .

1 – أروع ما قيل في الرّثاء ، إميل ناصيف ، المرجع السّابق، ص ص 109، 110.
2 – المرجع نفسه ، ص 139.

الْفَـصْلُ الـثّانيُّ :

الشّيخ محمّد باي بلعالم

و إسهاماته العلميّة .

المبحث الأول : التّعريف بالشّيخ محمّد باي بلعالم (1930م –2009 م).

المبحث الثّاني : بعض مؤلفات الشّيخ محمّد باي بلعالم .

المبحث الثّالث : مرثيّات الشّيخ محمّد باي بلعالم.

الفصل الثّانيّ : الشّيخ محمّد باي بلعالم و إسهاماته العلميّة .

المبحث الأول : التّعريف بالشّيخ محمّد باي بلعالم (1930م – 2009م) .

هو الشّيخ باي أبو عبد الله بن محمّد عبد القادر بن محمّد بن المختار بن أحمد العالم القبلويّ الجزائريّ (المالكيّ المذهب) الشّهير بالشّيخ باي ، يرجع نسبه إلى حمير القبيّلة العربيّة المشهورة باليمن ، وُلِدَ الشّيخُ عام 1930 م ، في قرية «ساهل» من بلديّة «أقبلي» ، بدائرة أولف ولاية أدرار بجنوب الجزائر، وله أربعة إخوة هو ثالثهم ، كان والده محمّد عبد القادر فقيهاً وإماماً ومعلماً ، من مؤلفاته [1] :

- تحفة الولدان فيما يجب على الأعيان .
- منظومة الولدان في طلب الدّعاء من الرّحمن .
- منظومة حال أهل الوقت. حارب فيها أهل البدع والخرافات .
- كما له عدة قصائد في مدح النّبيّ صلّى الله عليّه وسلّم .

تربّى محمّد باي بلعالم في أسرة علميّة ديّنة ، اِهتمت بتعليمه ، إذ بدأه بحفظ القرآن الكريم في مدرسة ساهل بأقبلي ، على يد المقرئ الحافظ لكتاب الله الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن بن المكي بن العالم ، ثم قرأ على يد والده المبادئ النحويّة والفقهيّة ، ودرس على يد الشّيخ محمّد عبد الكريم المغيليّ مدة من الزّمن ، ثم انتقل إلى زاوية الشّيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السّباعيّ بقصر « سالي » ، ومَكَثَ فيها سبع سنوات ، قرأ فيها الفقه المالكيّ و أصوله ، النّحو ، والفرائض ، والحديث ، والتّفسير.[2]

وخلال فترة دراسته تحصل على عدد من الإجازات منها:

1- إجازة عامة من الشّيخ الطّاهر بن عبد المعطي عند انتهاء الدّراسة .
2- إجازة عامة من السّيد الحاج أحمد بن محمّد الحسن بأسانيد متعددة.
3- إجازة من السّيد علي البُوديميّ في الحديث النّبويّ الشّريف.
4- إجازة من الشّيخ السّيد محمّد علوي المالكيّ المكيّ رحمه الله تعالى .
5- شهادة الليسانس في العلوم الإسلاميّة من وزارة الأوقاف (الشّؤون الدّينيّة حالياً) عام 1971م.

---

1 – الرّحلة العليّة إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات و العادات و ما يربط توات من الجهات ، الشّيخ محمّد باي بلعالم ، المعرفة الدّوليّة للنّشر و التّوزيع ، الجزائر ،2015 م ، ج02 ، ص ص 361 ، 362.

2 – المرجع نفسه ، ص 362.

وبعد أن تخرّج الشّيخ محمّد باي من زاوية الشّيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السّباعيّ ، انتقل إلى مدينة «أولف» ، حيث قام بتأسيس مدرسة للعلوم الشّرعيّة ، سـمّها مدرسة مصعب بن عمير الدّينيّة ، تُعنى بتدريس الطّلاب والطّالبات الأمور الدّينيّة واللّغويّة ، للمساهمة في رفع المستوى الثّقافيّ الدّينيّ لدى أبناء وطنه إبّان الاستعمار الفرنسيّ، وقد كان نظامها الدّراسيّ خارجياً . [1]

و لما تغلغلت الثّورة في الجزائر و استحكمت ، قرّر الشّيخ باي إغلاق المدرسة مؤقتاً خوفاً على طلبته من المعارك ، التي كانت تدور آنذاك ، ولـمّا حصل الشّعب الجزائريّ على حُـرّيته ، ونالت الدّولة استقلالها ، و استتبّ الأمـن ، أعاد افتتاح المدرسة من جديد ، لتستقبل الطّلاب بأعداد كبيرة ، و أضاف إليها قسماً داخلياً جديداً ، وفي سنة 1964م ، التحق بالسّلك الدّينيّ ، فأصبح من النّاحية الرّسميّة إماماً وخطيباً ومفتياً ومدرِّساً معترفاً به ، موظفاً لدى الدولة في مسجد أنس بن مالك ومدرسة مصعب بن عمير الدّينيّة . [2]

و في عام 1971 م شارك في مسابقة وزارة الأوقاف التي أجرتها لمجموعة من المشايخ ، لتحديد مستواهم العلميّ ، فتحصّل على شهادة تعادل الليسانس في العلوم الإسلاميّة ، و في عام 1981م ، قام بتوسيع مدرسته ، و أضاف إليها قسماً جديداً خاصاً بالإناث ، فأصبحت تستقبل أعداداً كبيرةً من الفتيات ، على غرار ما تستقبله من الفتيان ، وقام بتوسيع الأقسام الدّاخليّة بحيث أصبحت تستوعب طلاباً من خارج البلاد.[3]

و رغم انشغالاته وجسامة المسؤوليّات الملقاة على عاتقه ، إلا أنّه لم يتوقف عن التّحصيل العلميّ فقد ارتحل إلى عدد من البلدان العربيّة ، تونس والمغرب الأقصى وليبيا والمملكة العربيّة السّعوديّة ، والتقى فيها بعدد من طلبة العلم والمشايخ ، أفادهم و استفاد منهم .

تـوفي ليلة السّبت إلى الأحد 19 - 20 أفريل 2009م في منطقة أولف ودفن بها -رحمه الله تعالى- وأسكنه فسيح جنّاته .

---

1 - الرّحلة العليّة إلى منطقة توات ، المرجع السّابق ، ص 362 .

2- المرجع نفسه ، ص 363 .

3 - المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها .

المبحث الثانيّ : بعض مؤلفات الشّيخ محمّد باي بلعالم [1] :

رَحَلَ الشّيخ محمّد باي بلعالم ، لكّنّه خلّف لنا إرثاً معرفاً غنيّاً ، إذا أنتج ما يَرْبُو عــن ثمانيّة و ثلاثين مصنفاً ، بين منظوم ، و منثور ، و مشروح في علوم مختلفة ، كعلوم القرآن ، و مصطلح الحديث ، وعلم الفرائض (المواريث) ، و أصول الفقه ، و السّيرة النبويّة ، و علم النّحو ، و الأدب و التّاريخ ، و الرّحلة ، و الوعظ الإرشاد و التّوجيه ،كما دون في الفتاوى والتّقاريظ ، نذكر بعضها ، قصراً لا حصراً :

01- علوم القرآن:

- ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم. (جزآن).
-المفتاح النّورانيّ على المدخل الرّبانيّ في الغريب القرآنيّ .

02- مصطلح الحديث:

- كَشْفُ الدّثار شرح على تحفة الآثار.

03- الفقه:

- فتح الرّحيم المالك في مذهب الإمام مالك ، نظم يحتوي على 2509 أبيات.
- السّبائك الإبريزيّة على الجواهر الكنزيّة. 1049 بيتاً .

04- الفرائض:

- الدّرة السّنيّة في علم ما ترثه البريّة (نظم).
- فواكه الخريف شرح بغية الشّريف في علم الفرائض المنيف .

05- أصول الفقه:

- ركائز الوصول على منظومة العمريطيّ في علم الأصول.
- ميسر الحصول شرح على سفينة الأصول.

06- السّيرة النّبويّة:

- فتح المجيب في سيرة النّبيّ الحبيب صلّى الله عليه وسلّم.

07- النّحــو:

- اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم.
- منحة الأتراب على ملحة الإعراب.

1-المرجع السّابق ، ص 364.

08– مؤلفات مختلفة في التّاريخ والوعظ والإرشاد والتّـوجيه أهمُّها [1]:

– الرّحلة العليّة إلى منطقة تـوات لـذكر بعـض الأعلام والآثـار والمخطوطات والـعادات ومـا يربط تـوات من الجهات (في جزأين).

– الغصن الدّاني في حياة الشّيخ عبد الرّحمن بن عمر التّنلانيّ.

09– الفـتاوى:

– السّيف القاطع والرّد الرّادع لمن أجاز في القروض المنافع.

– انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس.

كما له فتاوى شفويّة و هاتفيّة ، وكتابيّة بعضها ذكره في رحلاتـه.

10– الأدب:

– مجموعة من المراثي لبعض أعلام منطقة توات .

– قصيدتان في الرّد على الملحد سلمان رشدي.

– مجموعة قصائد مضمونها الرّد على قصائد وصلته من أصدقائه.

11– الرّحلات:

– له عشرون رحلة مسجّلة للحجّ والعمرة ، و عشرون رحلة أخرى للحجّ لم تسجّل .

– له رحلة إلى المغرب الأقصى.

ذكر في هذه الرّحلات الوقائع و الأحداث ، و العلماء والشّخصيّات التّي اجتمع بها. دون نسيان مجموعة من المحاضرات الفقهيّة و العلميّة في المساجد و المعاهد و الجامعات ، و اللقاءات الحواريّة الإذاعيّة والتّلفزيّة محليّاً و وطنيّاً.

من غير الخفيّ لهذا العرض المقتضب لمؤلفات الشّيخ محمّد باي بلعالم ، يَـجدها الدّارس كثيرةً و متنوعةً ، في تخصصاتها و علومها و طبيعة موضوعاتها ، و طرائق عرضها بين المنثور و المنظوم .

المبحث الثالث : مرثيات الشّيخ محمّد باي بلعالم :

لقد تفاعل الشّيخ محمّد باي بلعالم مع أقراح منطقته الجنوب الجزائريّ ، خصوصاً في مصائبها الجليّلة ، و كان لسـان حالـها، نقل للقارئ لحظات الأسى والتّفجّع والحسرة والألـم ، ووخذات الحزن العميق ، الـغائر فـي قلوب أهلها ، خصوصاً إذا تـعلق الأمـر بـمصائب الآخرة ،كـفقدان العلماء ، و هذا – لعمرك –

1– الرّحلة العليّة إلى منطقة توات ، المرجع السّابق ، ص 364 .

من أعظم الرَّزايا و المصائب ، فعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((**إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رؤوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**)). رواه البخاريّ.[1]

كما جاء في الأثر ، يقول فيه القائل :

لَـعَمْرُكَ مَـا الرَّزيةُ فَـقْدُ مَالٍ وَ لاَ شَاةٌ تَـموتُ و لاَ بَـعِـيْرٌ
ولـكِّـنّ الـرّزيةَ فَـقْدُ حُـرٍّ يَمُـوْتُ لِمَوْتِـهِ خَـلْقٌ كَـثِـيْرٌ [2]

لقد حرّك فقدان العلماء و موتهم قريحة الشّيخ محمّد باي بلعالم ، فانسَابَتْ عبارات الحـزن وألفاظ العزاء و التّأبين انسياباً على لسانه ، جادت بها قريحته ، مشاركاً الأمة همومها عموماً ، و أهل الفقيدين مصابهم خصوصاً ، فسُكبت عبراتُ دموعِه ، و جاءت كلماتُه في صور مرثيّات لبعض العلماء الذين تعدّ موتهم خسارة ، ربطته بهم صِلَةُ : المشيخة من ناحية ، وصِلَة الزّمالة و الصّداقة و الأخوَّة و المحبَّة من ناحية أخرى ، تقاربت في عدد أبياتها ، حيث تراوحت ما بين اثنين و عشرين (22) بيتاً ، و ستة و خمسين (56) بيتاً .

و من خلال البحث الحثيث تمكنت من الحصول على مجموعة من المراثي [3] ، من يد حامد محمّد الأمين عبد الله * ، و عددها سبع قصائد شعريّة كلّها من القلب العموديّ ، عنت برثاء بعض علماء منطقة الجنوب الصحراويّ ، نحصيها بالعناوين [4] التّالية :

1- مـرثيتان في الشّـيخ مولاي أحمد الطّاهر السّباعـيّ** : المرثـيّة الأولى جاءت في أربعين (40) بيتاً ، أمّـا الثّانيّة جاءت في ثلاثة و خمسين (53) بيتاً .
2- مرثية الشّيخ سيّدي محمّد الرّقانيّ (الفقيه) : عدد أبياتها ستة و خمسون (56) بيتاً.

1- صحيح البخاريّ ، باب كيف يقبض العلم ، ج 01، ص 59 ، رقم : 100 . 2-بيت شعريّ مجهول القائل .

3-**ثـراث محمّد باي بلعالم بين النّهب و الإهمال** ، أحمد بن مالك ، قابله : محمّد بن أحمد فوضيل ، بلديّة أولف ، ولايّة أدرار ، 11 فبراير2017م.

* **حامد محمّد الأمين عبد الله** : هو أمين خزانة الشّيخ محمّد باي بلعالم بالمدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير بأولف ، و هو من أحد المقربين إليه ، يَسهرُ على جمع آثار الشّيخ محمّد باي وحفظها و العناية بها .

4- **واقع خزانة الشّيخ محمّد باي بلعالم** ، حامد محمّد الأمين عبد الله ، قابله : محمّد بن أحمد فوضيل ، بلديّة أولف ، و لايّة أدرار ، 11 فبراير2017م.

** **أحمد الطّاهر الإدريسيّ السّباعيّ** : هو مؤسس المدرسة الدّينيّة بسالي ، ولد سنة 1352هـ /1907م ، تخرّج على يده عدد من الطّلبة و الأئمة له مخطوطات عدة منها : فتوحات الإله الملك / العقد الجوهريّ على نظم العبقريّ / نسيم النّفحات في ذكر صلحاء توات ، توفي بمدينة مراكش المغربيّة ودفن بها سنة 1399هـ /1979م.

3- مرثية الشّيخ محمّد بن الكبير : عدد أبياتها أربعة و عشرون (24) بيتاً.
4- مرثية الشّيخ محمّد الزّاوي : عدد أبياتها اثنان و عشرون (22) بيتاً.
5- مرثية الشّيخ عبد العزيز سيدا عمر : عدد أبياتها ثلاثة و عشرون (23) بيتاً.
6- مرثية الشّيخ الحاج عبد القادر بكراوي :عدد أبياتها اثنان وثلاثون (32) بيتاً.

أ-رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ أحمد الطّاهر الإدريّسيّ السّباعيّ (1907م/1979م)

لقد رثى الشّيخ محمّد باي بلعالم شيخه أحمد الطّاهر الإدريّسيّ في مرثيتين ، حملتا معانيَ و دلالاتٍ كثيرةً ، يمكن أن تستوقف الدّارس ملياً ، و تحضّ أفكاره ، و تثير فيه سيلاً عرماً من التّساؤلات .

المرثيّة الأولى :

هي مرثيّة جاءت في اثنين و أربعين (42) بيتاً ، من البحر الكامل ، حررها بمناسبة وفاة شيخه أحمد الطّاهر الإدريسيّ السّباعيّ ، صدرها بالبسملة و الصّلاة على المصطفى الهادي الكريم ، ثم عنونها بـــ**"مرثيّة محمّد باي بن محمّد عبد القادر بلعالم لشيخه العلّامة السّيّد مولاي أحمد الطّاهر الإدريّسيّ "**.[1]

و لـمّا كانت للعنوان أهميةٌ بالغةٌ ، سعى المهتمون بالنّصوص إلى التّشديد في مسألته و العناية به ، و هذا ما أعرب عنه محمّد بازي في قوله : « العنوان حامل معنى و حمّال وجوه ، موازٍ دلاليّ للنّصّ، و عتبة قرائيّة مقابلة له ، توجه المتلقي نحو فحوى الرّسالة و مضمونها ».[2]

ويعضّد تلك المعاني محمّد صابر عبيد بقوله : « للعنوان الأدبيّ جماليّاته الخاصّة ، و فلسفته القائمة على سيميوطيقا * التّواصل مع نصّه من جهة و مع مستقبلات المتلقي من جهة أخرى ».[3]

1- مرثية محمّد باي بن محمّد عبد القادر بلعالم لشيخه العلّامة السّيد مولاي أحمد الطّاهر الإدريّسيّ ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير – الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولاية أدرار ، ص01.

2- العنوان في الثّقافة العربيّة التّشكيل و مسالك التّأويل ، محمّد بازي ، منشورات الاختلاف ، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، ط 01 ، 1433هـ - 2012 م ، ص 19.

***سيميوطيقا** : تعني علم دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة ، ينظر: دليل النّاقد الأدبيّ ، ميجان الرّولي ، سعد البازعي ، المركز الثّقافي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط02، 2002 م ، ص 177.

3-المغامرة الجماليّة للنّصّ الشّعريّ ، محمّد صابر عبيد ، عالم الكتاب الجديد ، اربد – الاردن ، ط 01 ، 1428هـ - 2008م ، ص 113.

و يقول عيساني بلقاسم في ذات الشّأن: «إن قراءة المفاتيح أهم عمل يمر عليه القارئ المبدع للولوج إلى معنى النّصّ ، و العنوان بمفهوم جيرار جينات عتبة من عتبات النّصّ و من أهم مفاتيحه ، إذ هو أولى الإشارات التي يتلقاها القارئ قبل النّصّ الثّاني....و يمكن اعتبار العنوان سلطة النّصّ وواجهته الإعلاميّة تمارس على المتلقي تأثيرها ».[1]

يُدرك مما سبق بأنَّ النّصَّ هو القاسم المشترك بين المبدع و العنوان و المتلقي ، فالأول ملزم باختيار العنوان لنّصّه ، و الثّاني مجبرٌ على حمل معان النّصّ ، و الثّالث مجبر على التّأويل .

من خلال المعاني السّابقة ، نكتشف بأن مفردات عنوان هذه المرثية و كلماته المفتاحية ، تأسر القارئ و تثير انتباهه ، و تستفز عقله للوهلة الأولى نحو:

(مرثيّة / محمّد باي بن محمد عبد القادر بلعالم / لشيخه / العلاّمة / السّيد / مولاي أحمد الطّاهر الإدريّسيّ) ، سيُدرك بعد قراءتها و الإمعان فيها ، أنّها ترمي إلى أبعاد عميقة و إيحاءات دقيقة ، و أسرار و دلالات كثيرة ، منها : الحزن / البكاء / العلم / الأدب / السّؤدد / الجاه ...

و بعد هذا الوقفة ندلف مباشرة إلى مطلع المرثيّة ، إذا يقول فيه الشيّخ محمّد باي بلعالم :

حَــدَثٌ أَلِيْمٌ جَاءَ بِالْحَسَرَاتِ والـدَّمِ مِنْهُ دَبَّ فــي الْعَبَرَاتِ
فِـي طَـيْبَةٍ وَرَدَتْ لَـنَا أَنْبَاؤُه بِــجِوَارِ طَــهَ وَ صَحْبِهِ الْهُدَاتِ [2]

نرى الشّيخ محمّد باي بلعالم من البيت الأول يصف نبأ وفاة شيخه أحمد الطّاهر الإدريّسيّ السّباعيّ (**بالحدث الأليم**) ، و الذي جاءه بالحسرات ، و نُزولَ العبراتِ : (وهـو يعني الدّموع) ، كما أنَّ هذا النّبأ ورد إليه و هو يؤدي مناسك الحج أو العمرة بالمدينة المنوّرة ، جوار قبر النّبي صلّى الله عليه و سلّم ، بعيداً عن الدّيار ، و موطن الحدث .

لم يخف الشّيخ محمّد باي نَفْذَ صَبْـرِهِ ، و تعكّر مزاجه ، إذ صار الحلو كالصّبْرِ مرّاً عنده ، و تغيّرت الآفاق بين ناظريه ، من شدّة و قع ذاك الحدث الأليم ، بل حزنت الدّنيا لفقدان الشّيخ أحمد الطّاهر السّباعيّ ، و حاكى الصّبح اللّيل في ظلماته ، مما جعل أفكار الشّيخ محمّد باي بلعالم تضطرب متبوعة بالصّرخات من الدّعاء ، رغبة في فأن يدخل الله الشّيخ الفقيد جنّته ، و يكرمه بواسع رحمته ، و يبوأه أعلى عليين ، يقول بهذا الصّدد :

1-النّصّ المفتوح في الشّعر الجزائريّ المعاصر ، عيساني بلقاسم ، موفم للنّشر – الجزائر ، 2013 م ، ص 123.

2-مرثية محمّد باي بن محمّد عبد القادر بلعالم لشيخه العلاّمة السّيد مولاي أحمد الطّاهر الإدريسيّ ، المرجع السّابق ، ص01 .

فالصّبرُ عِيْلَ و الآفاقُ تَغَيَّرَتْ والـصّبحُ ملَّ اليلَ في الدّهـماتِ
والحلوُ عادَ الصّبرَ في أذواقـه* والفكرُ يحكي الفلكَ في الحركاتِ
فَتسلَسلتْ عبراتُنا فوق** الثّرى فَاخْضَلَ منها التّربُ فـي الفلواتِ
و تَحَيَّرتْ عُقُوْلُنا و تَصَاعَدَتْ أنـفاسُـنا للـجـوِّ بالـــزّفـراتِ
و تبـلبلت أفكارُنا و تتابعَتْ صـرخـاتُنا للهِ بالـــدّعـــواتِ
لِـينزّلَ الشّيخَ الفقيدَ في جنّةٍ وعـليه يسدي سحايبَ الرّحماتِ
واللهَ أســـألُ أن يـبوأَ روحَهُ فـي أعـلى عـليين فـي الجنّات[1]

ثمّ يعكف الشّيخ محمّد باي بلعالم على سرد مناقب شّيخه و فضائله ، و تعداد صفاته و خصاله ، و تتبع آثاره و أعماله ، و التى لا ينساها أهل المنطقة ، فقد كان أحمّد الطّاهر الإدريّسيّ عالماً متبحراً في العلوم ، ونجماً ساطعاً في القطر التّواتيّ ، يهتدي بسيرته الضُّلَالُ إلى جادة الصّواب ، يقول في ذلك الشّيخ محمّد باي :

لاَ يَنْسَى هَذا الْقُطْـرُ بحرَ نوالِه يـوماً تـبوأ فـيه بِالْبَـــركاتِ
قَـدْ كَـانَ بحراً للمعاير فَجَامِعاً فَـتَدَفَّقَتْ أمـواجُهُ فِـي تواتِ[2]

كما كان الشّيخ أحمد الطّاهر الإدريّسيّ كافلاً للأيتام ، كريماً جوّاداً ، عدلاً و ناصراً للمظلومين ، معلماً لطّلابه ، مطيعاً لشيوخه ، ناصحاً لأقرانه ، مشفقاً و محباً للأطفال و الضّعفاء ، يقول في ذلك الشّيخ محمّد باي بلعالم :

قَـدْ كَـانَ لِلْإيـتام كِـفْلاً نافعاً بِالْـعَـطْفِ يُـولِـيهِم و بالصّلواتِ***
قَـدْ كَـانَ للفقراءِ غَـوْثاً رَاحـماً بالـجودِ يُكرمـهم وبالصّدقاتِ
قَـدْ كَـانَ للطّلاب شَيْخاً بَارِعاً بالعلمِ يَـرْفَعُهم إلـى الـدّرجاتِ
قَـدْ كَـانَ للـمظلومِ غوثاً ناصراً بالـعـدلِ يحـمـيه مِـن الـطّغاتِ
قَـدْ كَـانَ لِلأترابِ خِـلّاً مُخْلِصا في النّصحِ و الإحسانِ و الوهبات(*)
قَـدْ كـان للأشياخ(**)نـجلاً طايّعاً فـي الـبّر و التـوقير و الـطّاعات
قَـدْ كـان للـصّبيان أباً مشفـقاً فـي الحبِّ و الحلمِ وفي الـرّحماتِ [3]

---

[1] -المرجع السابق ،ص 01.
[2] -المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها
3- المرجع نفسه ، ص 01، 02.

*وردت في الأصل : مذاقه . **وردت في الأصل : عبراتنا على الثّرى. ***وردت في الأصل : بالصّلات.
(*)وردت في الأصل : الهبّات . (**) وردت في الإصل : للشّيوخ.

لم يكن الشّيخ أحمد الطّاهر الإدريسيّ خائناً لدينه ، و لا قاعداً جباناً في بيته ، بل كان ناصراً معتزاً بإسلامه في محرابه ، محارباً لأهل الكفر و البدع و الإلحاد ، و الشّبهات و الشّهوات ، يصِف ذلك الشّيخ محمّد باي بلعالم في هذا البيت قائلاً :

قَدْ كَـانَ للإسلامِ حِصْناً عَـالِياً و يُكَـافِحُ الإلــحادِ و الشُّبُهَاتِ[1]

و بعد فراغ الشّيخ محمّد باي من ذكر مناقب الشّيخ أحمد الطّاهر الإدريسيّ و فضائله ، راح يؤكد على أنّه رغم فقدانه و فراقه للدّنيا ، لكّنّ خصاله باقيّة حيّة من بعده ، شاهدة له على مرّ الأزمان ، يُورد ذلك في المرثيّة بقوله :

إنْ فَــارَقَ الدُّنْيَا فَإِنَّ خِصَالَهُ تَبْقى مَـدَى الْأَحْقَابِ فِي الْـحَيَوات**[2]

ثم يثني و يشكر الشّيخ محمّد باي بلعالم كلّ من تمسّك بنهج الشّيخ أحمد الطّاهر الإدريّسيّ ، من بعد وفاته ، كما يقدّم عزاءه لأهل الشّيخ ، و يسترجع ، و يحمد الله كثيراً ، وبعدها يختم رثاءه بالصّلاة على الرّسول و آله و صحبته ، فيقول :

ولِـمَنْ أَقَامُوا الأمرَ بَعْدَ غَــيَّابِهِ فَلَهُمْ جَزِيْلَ الأَجْرِ وَ الْحَسَنَاتِ
وَ عَـزَاؤُنَا صَــبْرٌ جَمِيْلٌ أَجْـرُهُ قَدْ جَـاءَ فِيْ القرءان بالإثباتِ
الأمــرُ يــرجـع لــلإله وإنَّـنا** إليه راجـعون فِـي الــحالاتِ
والحمد للرّحـمان جـلّ جلاله مقدرُ الــحركاتِ و السّكناتِ
ثــمّ الصّلاة بــها خِتَامُ رِثَائِـنَا عَلى النّبــيِّ وصَحْـبِهِ الْـهُدَاتِ [3]

يلاحظ بعد ختام هذه المرثيّة ، بأنّ الشّيخ محمّد باي بلعالم حاول جهده من أجل تعداد مناقب الشّيخ أحمد الطّاهر السّباعـيّ ، و فضائله و خصاله ، ذاكراً كلّ أمرٍ كان الشّيخ حريصاً على فعله ، راثياً حاله و حاله محبيه ، داعياً له بالرّحمة و الجنان .

---

1 -المرجع السابق ، ص 02.

2 -المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها .

3 -المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

*وردت في الأصل:الحياة. ** وردت في الأصل : « والأمر للإله يرجع و إنّنا...»

المرثيّة الثّانية :

هي مرثية جاءت في ثلاثة و خمسين (53) بيتاً ، من البحر الطّويل ، صدّرها كسابقتها بالبسملة و الصّلاة على النّبي صلّى الله عليه و سلّم ، ثُمَّ عنونها بـــ" **هذه مرثية أخرى في و فاة العالم المرحوم الأستاذ الطّاهر مولانا أحمد من بحر الطّويل تتضمن تلميحاً للرّحلة التّي قام بها عبر الصّحراء الجزائريّة سنة 1395 هـ/ 1975 م لتلميذه محمّد باي بن محمّد بلعالم** ".[1]

جاءت مفردات العنوان متقاربة جدّا مع عنوان المرثيّة الأولى ، بيد أن هذه المرثيّة تفردت ببعض الألفاظ ميزتها عنها ، على الرّغم من التّوافق في الموضوع العام كلفظة " **الرّحلة** ، **الصّحراء الجزائريّة** ، **سنة 1395 هـ 1975م**" .

لقد أمر الشّيخ محمّد باي بلعالم في مطلع مرثيّته لشيخيه " **أحمد الطّاهر الإدريّسيّ**" ، بزرف الدّموع والبكاء الكثير ، لأنّه يرى في ذلك عزاءً على البلوى و الخطب العظيم ، الذي ألــمَّ بمطقة توات حين بلغ نعي الشّيخ أحمد الطّاهر الإدريّسيّ السّباعيّ ، فيقول :

دَعْ الدّمْعَ يجري من جفوني بكثرةٍ فِفِيْهِ عَـزَائَـي إنْ بَلِـيْتُ بِنَـكْـبَةٍ
لَـقَدْ دَهَـــمَ الْخَطْبُ الْعَـظِيْمُ تَوَاتَنا لِيَوْمٍ أَتَــى نَعْيُ السِّبَاعِـيّ بِـوَجْدَةٍ(*)
بِـحِي ذِي قِـعْدَة طلمش*وألف قد أَجَــابَ نِـدِاءِ مَـنْ دَعَــاهُ لِرَحْمَةٍ [2]

إنّ خبـرَ نعي الشّيخ أحمد الطّاهر الإدريّسيّ السّباعيّ تأثرت به ورثته كلّ قصور توات : كقصر سالي ، و رقّان ، تاعربت، و زاوية الرّقانـيّ ، أولف ، ساهل ، أقبلي ، و تيط ، تمنطيط ... ، و ما جاورها من البلدات و المدن الصحراويّة ، كفنوغيل، أدرار، تينلان ، عين صالح ، الهقار، المنيعة ، متليلي ، تيميمون ، وبشار... و غيرها ، كان للشّيخ أحمد الطّاهر الإدريّسيّ وطأةُ قدمٍ ، بَل فضلٌ و خيرٌ ، و كرمٌ و أثرٌ عليها ، لا يمكن لأهل تلك المواطن و الدّيار نسيانه ، و سيتذكرونه و يذكرونه للأجيال المتعاقبة ، يقول الشّيخ محمّد باي بلعالم في ذلك :

ولا تـنس بلدة ســاهلٍ و أقــبلي فــي** مـقام السّباعيّ للـعلوم بـنيّة
أقـبلي وتيط عـين غارٍ و أفــدت على الرّاحل المعنى بكل عـنايّة
وهقار سادت بــها المصاب و سامها بما فيها من عرب و عجم بصد [3]

1-هذه مرثيّة أخرى في وفاة العالم المرحوم الأستاذ الطّاهر مولانا أحمد من بحر الطّويل تتضمن تلميحاً للرّحلة التّي قام بها عبر الصّحراء الجزائريّة سنة 1395 هـ 1975 م لتلميذه محمّد باي بن محمّد بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولا يّة أدرار ، ص01.

2-المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها . 3- المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها .

(*) وردتا في الأصل : تواتاً ، في يوم. طلمس : رموز تستخدم في التأريخ ، يُنْظَرُ حَـمَّارةُ الحسابِ بالملحق رقم : 01 .

** هذا الشّطر ورد في الأصل : " ولا تنس ساهلا و أفباله في... ".

و يقول أيضا :

ولـكّـنّ ذكــركم عليها لا ينطوي و عـمّ صَدَاهُ كُـلَّ قـصرٍ و قريّةٍ
رَثَـاكَ من أَهلِها جـموعٌ أمـامُهم سـليلُكَ عـبدُ اللهِ بــدر ألذّ جنّةٍ[1]

لقد كان حال الشّيخ محمّد باي بلعالم يوم نعي شيخه ، و هو بالمدينة المنورة حال المكلوم الباكي المتحسر ، عزّ عليه الاصطبار ، إذ ضاقت عليه الدّنيا بما رحبت ، وأقدر الله جاريّة ، و أحكامه ساريّة ، و ليس للشّيخ محمّد باي إلا التّسليم بقضاء الله و مشيئته ، يقول في شأن حزنه و حاله :

و يوم أَتَانَا النَّعْيُّ يُنْبِيءُ فَقْدَكُمْ وَنَــحْنُ نُـقِيمُ بَــيْنَ لَابـنى طَــيْبَةِ
فـسالتْ دُمُـوعُنَا وَعَـزّ اِصْطِبَارُنَا وَضَاقَتْ عَلِيْنَا الْأَرْضُ وَالخطبُ جُلَتِي
وَنَــحْنُ صَـنْاعَةٌ وَ رَبُّـنَا صَانِعٌ وَ يَـفْعَلُ مَـا شَـا بِـحُكْمِ المـشيئـةِ [2]

و يختم الشّيخ محمّد باي بلعالم مرثيّته الثّانية هاته ، بالدّعاء للفقيد بالرّحمة و الجنّة و الصّلاة على النّبي صلّى الله عليه و سلّم ، و يجدد في آخر أبياتها طلبه و أمره بالفعل " **دَعْ** " ، و الذي جاء في البيت الأول ، للإكثار من البكاء ، و ترك الدّمع حرّاً ، يجري غزيرًا من العيون إظهاراً للحزن ، بقوله :

وأَمطـرْ عَليهِ يَا إلـهِي سَحَايبا مِن الْفضلِ وَ الإحسانِ في رحبِ جَنّةٍ
وَأَختمْ قُـــولي بالصّلاة مُصَلّيا عَــلى أحــمد المختارِ خَـيرِ البــريّةِ
وَءالهِ والأصحابِ مَا قال قايلٌ دَعْ الدّمعَ يجري مــن جُفونِـــي بكثـرةٍ [3]

بعد القراءة الفاحصة للمرثيّتين السّابقتين ، نجد حرص الشّيخ محمّد باي بلعالم وجهده كبيرين جدّاً ، في تبيّن مكانة الشّيخ أحمد الطّاهر السّباعيّ العلميّة و الدّينيّة و الرّوحيّة بل حتى الاجتماعية . و أن فقده سبب خسارة كبيرة ، مما دفع بسكان المنطقة ، و الشّيخ محمّد باي في مقدّمتهم ، يظهرون بكائهم وحزنهم ، و يقدمون تعازيهم ، مستذكرين خصال الشّيخ أحمد الطّاهر السّباعيّ ومناقبه و آثاره ، علّهم يجدون سلوة لمصابهم ، و رثاء لحالهم الذي قارنوه بالصّبر و الاسترجاع و الاسترحام و الرّضا .

1-المرجع نفسه ، ص 02.

2-المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

3-المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

ب –رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ محمّد بلكبير (1911م – 2000 م)* :

لقد رثى الشّيخ محمّد باي بلعالم الشّيخ محمّد بلكبير في مرثيّة بلغ عدد أبياتها أربعة و عشرين (24) بيتاً ، من البحر الوافر ، صدّرها بالبسملة ، يليها العنوان و الموسوم بـــ:" **الشّيخ محمّد بن الكبير في ذمّة الله مرثيّة من محمّد باي بلعالم** ".[1]

في هذه المرثيّة يظهر الرّثاء للقارئ شاخصاً ، إذا كان نصيب البكاء من عين الشّيخ محمّد باي بلعالم كبيراً ، حزناً و ضيقاً و حسرةً على موتٍ و فراقٍ ، و وداعٍ الشّيخ محمّد بلكبير ، عرفاناً بعلمه ، و بخدمته لدينه الإسلام ، حيث شاعت أنوار علومه ، و انبثقت ضياؤها في الأكوان ، و أُزيل بفضل اجتهاده و جهاده ظلام الجهل و التّخلف ، يقول الشّيخ محمّد باي بلعالم في مطلع المرثيّة :

بَكينا عليك يَا شيخَ الأنـامِ وَ حُـقَّ البُـكَاءُ ألْـفُ عَـامِ
مـلائكةُ الله تـهتف بُشْرَى لِـشَيْخٍ لنا كـان غوثاً للأنـامِ
فإنّ بـحورَه انَفَجَرَتْ عُيُونٌ فـعمَّ سَـقَاؤُها كُـلَّ الآكـامِ
ومـن أنـوارِه اِنْبَثَقَ الضّياءُ فَـزَالَ بِـنُورِهِ حَـلَكُ الظّـلَامِ [2]

لقد شهد بفضله و علمه و عطائه الشّعب الجزائريّ كلّه ، شمالاً و جنوباً ، و غرباً و مشرقاً ، قصده الطّلاب و حداناً و زرافاتٍ ، و تزاحموْا حوله ، للاغتراف من علومه ، ثم تفرقوا في الأرض ، لينشروْا ما تعَلَّمُوهُ من الشّيخ محمّد بلكبير في المدارس و المساجد ، يقول في ذلك الشّيخ محمّد باي بلعالم :

فإنّ عـلُومَهُ اِنتشرتْ عُلُومٌ فَـكَمْ لِلْعِلْمِ عَنْهُ مِنْ زِحَامِ
....

***محمّد بلكبير** : هو محمّد بن محمّد عبد الله بن الكبير : كان رجلاً صوفياً ، و قطباً بارزاً ، مؤسس المدرستين الشّهيرتين بتيميمون و أدرار ، أسدى له رئيس الجمهوريّة عبد العزيز بوتفليقة ، و ساماً برتبة : أثير ، من صنف الاستحقاق الوطنيّ دفعة هوار بومدين عام 1420هـ/ 1999م ، تقام له زيارة سنويّة في ذكرى و فاته 15سبتمبر كلّ سنة ، ولد سنة 1330هـ /1911م ، و توفي يوم الجمعة 16جمادي الثّانية 15 سبتمبر 2000م ، **ينظر** : رجال في الذّاكرة وقفات تاريخيّة في أعماق الذّاكرة التّواتيّة ، محمّد بن أبّ المزمري (1160هـ) ، حياته و آثاره ، أحمد أبّا الصّافيّ جعفري ، ط 03 ، دار الغرب للنّشر و التوّزيع ، و هران – الجزائر ، محرم 1429هـ/ يناير 2018هـ ، ص 293 .

1–الشّيخ محمّد بن الكبير في ذمّة الله مرثيّة من محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولايّة أدرار ، ص01.

2– المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها . و ينظر : الرّحلة العليّة ، محمّد باي بلعالم ، المرجع السّابق ، ج 01 ، ص 367.

و كَمْ من مَسْجِدٍ في الشّعب أدى شَهَـادَتَهُ لِشيخِنَا الْـــهمامِ
كـذلك المـدارسُ فـي الجـنوبِ و فـي شرقِ الجزائرِ بالتّمامِ
و فـي غربِ البلادِ و فِـي الشّمالِ تَـفِيْضُ بِـعِلْمِهِ بِـلاَ كَلاَمِ[1]

طفق الشّيخ محمّد باي بلعالم يُعْرِبُ عن حزنه و آلامه ، بسبب موت الشّيخ محمّد بلكبير مشاركاً منطقة "أدرار" في بكائها و آلامها و حزنها عليه ، فهو شمسها قد كانت تُنير الطّريق النّاس و تدلهم على الخير ، و لم تجد إلا الصّبر الجميل عزاءً في هذا المصاب الجلل ، و ذاك ما نلفيه في أبيات الشّيخ محمّد باي بلعالم التّالية :

بموتِكَ يَا إمامُ العصرِ غَابتْ شُـمُوسُ الشّعْبِ عَنا الْأَنَامِ
و أعلى منارةٌ سَقطتْ فَأدَتْ إلى حُـزْنٍ و دَمْعٍ مَع آلامِ
فـأدرارُ بـكَتْ دَماً عَلَيْكُمْ و كَانَ الدّمعُ يَجْرِي بِانْسِجَامِ
فَليس لها سِـوَى صَبْرٍ جَمِيْلٍ يُـعَدُّ لِذَا المصائبِ يَـا إمـامُ [2]

جاءت تعزية الشّيخ محمّد باي بلعالم لتآزر أهل الشّيخ محمّد بلكبير خصوصاً ، و أهل توات و كلّ محبيه و مريديه عموماً ، إيماناً منه بقدر الرّجل ، و مكانته في النّفوس ، و سلوى لهم في مصابهم ، يقول الشّيخُ محمّد باي بلعالم معزيّاً :

نـعزي كلّ فـرد في تواتٍ فِي فَقْدِ الشّيْخِ مِنْ دَانٍ وَسَامِي
نُـوَدِّعُ فيك يَا شَيْخَ الأنَامِ سَـلاَمَنَا إلـى يـوم الـقـيامِ [3]

ختم الشّيخ محمّد باي بعالم مرثيّته هاته بسلامه و تحيته على الفقيد الشّيخ محمّد باي بلكبير ، و التّرحم عليه ، ثمّ قفلها بالحمد لله و الصّلاة على النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم ، و هذا ما جاء في البيتين الأخيرين :

فَمِنْ بَاي سَلاَمٌ مَـعْ تحايا على المرحومِ شَيْخِنَا الإمامِ
و نَحْمُدُ رَبَّنا و نُصَلِّي أيَّضا عَـلَى المختارِ سَـيّدِ الأنَامِ[4]

من خلال هذه الملاحظة العامة لأبيات هذه المرثية ، تتبدى للقارئ الحصيف معالم رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ محمّد بلكبير في الألفاظ و مدلولاتها و إيحاءاتها، غايتها الإنصاف و التّقدير و الاعتراف و الدّعاء.

1-المرجع السّابق ، ص01.

2 -الشّيخ محمّد بن الكبير في ذمّة الله مرثيّة من محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، المرجع السّابق ، ص01 ، ينظر: الرّحلة العليّة ، محمّد باي بلعالم ، المرجع السّابق ، ج 01 ، ص 367 .

3 – المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها ، ينظر : الرّحلة العليّة ، المرجع نفسه ، ص ص 367 ، 368.

4-المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها ، ينظر : الرّحلة العليّة ، المرجع نفسه ، الصّفحة نفسه .

ب–رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ عبد العزيز سيد اعمر*(1924م–2008م):

عبرّ الشّيخ محمّد باي بلعالم في رثائه للشّيخ عبد العزيز سيدا عمر عن خلجاته النّفسيّة الدّالة على وطأة الفقد ، و ألم الفراق حزناً على موت عبد العزيز سيدا عمر ، في مرثية بلغ عدد أبياتها ثلاثة وعشـرين (23) بيتاً ، من البحر الطّويل ، ابتدأها بالبسملة ، جاء بعهد العنوان و الموسوم بـ" **الشّيخ السّيد الحاج عبد العزيز سيدا عمر في ذمّة الله مرثيّة من محمّد باي بلعالم** ".[1]

خاطب الشّيخ محمّد باي بلعالم الشّيخ عبد العزيز سيد اعمر منادياً إيّاه ، ليخبره برثائه و دموعه السّائلة و التي شابهت الدّم تحسراً على موتـه ، كما يعـزّي توات خصوصاً ، و الجزائر عموماً ، لأنّه كان إماماً لها ، تغيّر عند موته حال الشّيخ محمّد باي ، و صار عنده الحلو مرّاً ، و النّهار ليلاً، يقول ذلك في مطلع المرثيّة في الأبيات الآتية :

أيَا شَيـْخَنَا عبد العزيزِ فَـرَقْتَنَا * وكُـنْتَ لَنَا طَـوْداً و حِصـْناً مـُحَصّنا
جـرى دمعنا دماً لفقدك سَايلا ومَـا يَـنْفعُ الإبكا**لِـفقدِ حبيبنا
نُـعَزِّي تـوَاتَا وَ الْـجَزَائرَ كُـلَّهَا فـِي مَـوْتِكَ يَا عَـبد العزيزَ إمـامنا
بموتك صار الحلو مرّاً و قد دَهى لشمس الضُّحى ما كان لليلُ من عنا[2]

لقد ذكّره بمناقبه و خصاله ،كان حيث فاعلاً للخير ، عالماً و فقيهاً و ناشراً للعلم ، مؤلفاً للكتب و التي تحتضنها رفوف المكتبات ، كما كان معيناً لكل فئات المجتمع (شباب ، كهول ، و شيوخ ، فقراء ، يتام ....) ، مما أكسبه حبّ النّاس و مدحهم و ذكرهم الجميل له ،و حُسن الثّناء عليه ، قال الشّيخ محمّد باي بلعالم في هذا الشّـأن :

و كُنْتَ لِفِعْلِ الْخَيْرِ حَاتِمَ عصرنا وكُنْتَ لنشر العلمِ جِسْراً و مَـوْطِنا
و كُنْتَ لِـعنصر الشّبابِ مُوَجِها وللكـهلِ و الأشياخِ كُنْتَ مُـبَيِّنا
و لِلْفُـقراءِ كُـنْتَ عَـوناً و نَافِعا كَما كُنْتَ للأيتام أباً ثُمَّ(*) مسكنا [3]

---

* عبد العزيز سيدي عمر المهداويّ : و لد عام 1924م ،هو مؤسس الزاويّة بقصر المهديّة بتمي ، عالم و فقيه ، له عدة مؤلفات منها: قطف الزّهرات أخبار علماء توات ، نبراس الآداب المهذب لأخلاق الشّباب ، الجواهر اللئالي ، السّيرة ....، توفي عام 2008م .

[1] – الشّيخ السّيد الحاج عبد العزيز سيدا عمر في ذمّة الله مرثية من محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الديّنيّة بالمهديّة ، بلديّة أولاد أحمد (تيمي) ، ولايّة أدرار، ص1.

[2] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] – المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

* وردت في الأصل : فارقتنا. *وردت في الأصل : البكا. (*) ثم بدلا من ، "و".

و يقول أيضاً :

فجمعك للأعلامِ جمعٌ مُوَفقٌ و في الزهراتِ بَانَ ما كان كامنا
و في الفقهِ و الآدابِ خلفت ثروةً و في سيرة المختارِ جمعك يُعتنى
جمعتَ العلومَ في تئاليف عدةٍ ستبقى مدى الأحقابِ كنزاً و متقنا
و يبقى لك الذكرُ الجميلُ مخلدا و تحظى من الأنامِ بالمدحِ و الثّنا [1]

يتضرع الشّيخ محمّد باي لله سبحانه و تعالى من أجل الفقيد الشّيخ عبد العزيز سيد اعمر ، سائلاً له الرّحمة و السّكنى في جنّة الخلد ، و أن يبارك له في خَلَفِه من البنين ، و في طلّابه و كلّ المقربين منه ، إذ يقول الشَيخ محمّد باي داعياً و سائلاً :

فَكوني لهُ يا رحمةَ اللهِ مَنزلا وكُوني له يَا جَنَّةَ الْخلدِ مَسْكَنا
فَنسألُ رَبَّي أنْ يُسكنَ شَيْخَنَا فِي جَنّةِ عَدْنٍ بِالنّعِيْمِ وَ بالمنا
وَبَارِك رَبّ في البنين بعيده وَفِي كُلِّ ءَاخذٍ عَلِيْهِ وَمَنْ دَنَا [2]

ويجدد الشّيخ محمّد باي بلعالم في آواخر مرثيته هاته رثاءه للشّيخ ، و إظهار حزنه، والإفصاح عن رجائه للقاء به في ظلّ العرش ، يوم لا ظلّ إلا ظلّه ، خاتماً القصيدة بالحمد و الثّناء على الله ، و الصّلاة على الرّسول صلّى الله عليه و سلّم ، وآله و صحابته ، دون أن يغفل نداءه للشّيخ عبد العزيز سيدا عمر الفقيد ،كلّ نجده في الأبيات التالية :

ويرثيك باي مظهر لك حزنه ويرجو اللقا في الظّل يوم مَعادنا *
لله الحمد فرداً و الصّلاة ويتلها(*) سلام على خير الأنام نبينا
وَءاله و الأصحاب مَا قال قائل أيَا شَيْخَنَا عَبدَ العزيزِ فَرَقتَنا [3]

و بعد عرض بعض أبيات هذه المرثية نلفي الشّيخ محمّد باي بلعالم و هو يرثي الشّيخ عبد العزيز سيد اعمر، كسابق عهدنا به في المرثيات السّابقة ، يمنح لموضوع الرّثاء مجالاً فسيحاً ، حمّله أشجانه و أحزانه ، و آلامه ، ساكباً دموعه ، مظهراً تأثره لفقد الشّيخ ، ناطقاً برثائه و تعزيته لأهل الشّيخ عبد العزيز ، راجيّاً اللقاء في ظلّ العرش يوم الميعاد .

---

1 – المرجع السّابق ، ص 01.

2 –المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها .

3–المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها .

*وردت في الأصل: ميعادنا .

(*) ورد هذا الشّطر في الأصل : « ولله الحمد و الصّلاة و يتلوها...»

ت–رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه *(1931م / 2006م) :

بلغ نعيّ الشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه مسامع الشّيخ محمّد باي بلعالم قَصّدَ فيه مرثيَة ، جاءت في ستة وخمسين (56) بيتاً ، من البحر البسيط ، صدّرها بالبسملة و الصّلاة على النّبي الكريم صلّى الله عليه و سلّم ، ثم عنونها بـــ" **مرثية الشّيخ محمّد باي بلعالم الشّيخ سيدي محمّد الرّقانيّ في ذمّة الله** ".[1]

من العنوان يظهر موضوع الرّثاء شاخصاً للقارئ ، في سمات الكلمات المفتاحيّة كـــ : (**مرثية / في ذمّة الله**) لتأثـر الشّيخ باي بلعالم بـوفاة الشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه و هو أحد زملائـه ، أو أصدقائه ، فضلاً عن مكانته عند الشّيخ أحمد الطّاهر الإدريّسيّ ، فهو خليفته و المقربين إليه .

يذكر الشّيخ محمّد باي بلعالم في مطلع المرثيّة بأنّ نبأ وفاة الشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه بلغه و هو يؤدي مناسك الحج بمكة المكرمة ، سـاعتها ضاقت عليهم الدّنيا و ملئت أحزاناً ، و بكى هو و الحجّاج ، و تأسفوا على فـقده و فراقه ، كـما بكت عـليه تـوات كـلّها ، و تأسفت ، يقول بهذا الصدد :

مَـاتَ الفقيهُ و مَاتَ الجودُ و الْكَرَمُ وَسَالَ مِن عَيْنِنَا دَمْعٌ وَ فَـاضَ دَمٌ
مَحـــمّدٌ و هُـوُ للـرّقانيّ قَـدْ نَـسَبَا وبالـفقيهِ النّـبيهِ و كَانَ قَدْ عُلِـــمَ *
شيخٌ عظيمٌ له الأخلاقُ قَدْ جُمِعَتْ والْـخَلْقُ مِـنْ فَـقْدِهِ أَصَابَـهَا سَقَمٌ
بَـكَتْ عليه تـواتٌ كُـلُّها أسَـفا وَالأرضُ ضَـاقَتْ وَ بِالأحزانِ تَتَسِمُ
لَـمَّا أَتَـى نَـعْيُهُ لِمَـكّةٍ قَدْ غَـمَرَتْ حُـجَاجَنَا لَوعةٌ هُـزَّتْ بِـهَا الْقممُ[2]

إنّ مكانة الشّيخ محمّد الرّقانيّ في قلب الشّيخ محمّد باي بلعالم ،كونه صديقاً و زميلاً أيّام الدّراسة في زاوية الشّيخ أحمد الطّاهر الإدريّسيّ ، و في قلوب أهل منطقة توات عظيمة جداً ، لِسُمو علمه و فكره ، و كَرَمِ خصاله ، و نُبلِ أخلاقِه ، لقد اِتسم بالشّجاعة والإحسان و الكرم ، و بغيابه غاب الصّبر ، وحَلَّتِ الأحزانُ ، و عَمّتِ الحيرةُ في الأرجاءِ ، يقولُ في ذلك الشيّخ محمّد باي بلعالم :

إنّ الـرّقانيّ شيـخٌ فـــكرُه ثقِـــبٌ وعـــلمه نـافـعٌ تـُهدي بـه أمـــــمٌ
قد غابَ عنا و غاب الصّبرُ في جدثٍ ضَـــمَّ الحبيبَ فَـــحَلَّ الحزنُ و البكمُ
و عـمّت الحـيرةُ الأرجـاءَ قـــاطـــبةً وغابَ عن سمعنا سمـعٌ و فُضّ فـــمٌ[3]

1- مرثيّة الشّيخ محمّد باي بلعالم الشّيخ سيدي محمّد الرّقانيّ في ذمّة الله ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولايّة أدرار ، ص01.

2 – المرجع السّابق ، ص 01.

3- المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

3 – المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

* وردت في الأصل : « وصفه يُعَلَّمُ...» .

لقد نقل إلينا الشّيخ محمّد باي بلعالم في مرثيته تفاصيل دقيقة عن عن آثـار الشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه و مناقبه ، إذا لم يترك باباً من أبواب الخير و الإحسان و البرّ إلا طرقـه و دخله ، معلماً و إماماً و داعيّة ، ولم يَرَ بباباً من أبواب الشّر إلّا أغلقاه و أوصده ، كان عادلاً منصفاً ، و مصلحاً ، و مرشداً ، مدفوعاً بعلو همته ، يقول عنه الشّيخ محمّد باي بلعالم :

و في المساجد مرشاد* و داعيّةٌ مـعلمٌ مـصلحٌ تَعْلُو به الهممُ
وَ كـانَ للنائباتِ الـدّعمُ يُعْـتَـمَدُ وللمشاكلِ كَانَ الْحَلُّ ينسجمُ
فيه خصالٌ من الإحسانِ قد جُمِعَتْ وفُرِّقَتْ في سواه فهي تَنْقَسِمُ [1]

يُصّورُ الشّيخ محمّد باي لحظة فراق الشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه الدّنيا إلى العالم الأبدي تصويراً فوتوغرافياً، إذ جاء ملك الموت وقبض روحه و هو يصلي بالنّاس ، فعمّ الأسى الحزن ، و اضطرب الجَمعُ ، بسبب مفاجأة هذا المصاب الجلل ، و الذي ألهب القلوبَ و أحرقَها من شدة اللوعة ، يقول الشّيخ محمّد باي بلعالم :

مـن بـعد مـا أمّ في الصّـلاةِ طَـائفةً جـاءه** رسـولٌ بقـبض الرّوحِ ملتزمُ
قَدْ فَاضَ بَحْرُ الأسَى و عَمّتْ أمْواجهُ سَهْلَ الجنوبِ وَقَـدْ دُكَّتْ لَهُ الْقِمَمُ
مُـصَابُـنَا جَـلَلٌ و قَـدْ فُـجِـئْنَا بِـهِ فَكَانَ كَـالنَّارِ فِي الْأَخشَابِ تَضْطَرِمُ [2]

و على إثر هذا المصاب الجلل ، لم يتردد الشّيخ محمّد باي بلعالم لحظة واحدة في تقديم تعازيه لأهل الشّيخ محمّد الرّقاني الفقيه ، إخواناً و أبناء ، يقول في ذلك :

نُعـزِّي أنجاله الأكرمين(*) إنّـهم لِأَصْلِهِمْ تَبَعٌ فَاعْرِفْ لِفَضْلِهُمُ [3]

لم ينس الشّيخ محمّد باي في تعزيته زملاءهما في الدّراسة و طلب العلم ، و كذا المنتسبين و المحبين للفقيد للشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه ، منبهاً على ضرورة السّير في نهجهم ، لأنّهم أهل شرفٍ و فضلٍ و علمٍ ، و لا إعتبار عنده لأيّ شخص إنـحرف أو زاغ عن منهجهم ، يقول في هذا الأمر :

كَذَا الْـمُـحِبُّونَ لِلْمرحومِ تَـعْزَيَتِـي لَـهُمْ وَ لِلـزُّمَلَا في العلمِ كُلِّهِمُ
كذاكَ مَـنْ كَانَ لِلـرّقانـيِّ مُنتسباً ونسأل الله نفـعاً للمحبِ لهمُ
فكـلّهم شـرفاً و كـلّهم فـضلا ولا اعتبار بشخص ضلّ نـهجهم [4]

1- المرجع السّابق ، ص 01.
2 -المرجع نفسه ، ص 02.
3-المرجع نفسه ، ص 03.
4-المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.
* وردت في الأصل: مرشد .
**وردت في الأصل : جاء (دون هاء).
(*) وردت في الأصل : الكرام.

كما يشفّع تـعزيته باسمه الشّخصي راجياً من الله أن يرزق أهل الشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه الصّبر الجميل ، و أن يجمعه بالنّبي صلّى الله عليه و سلّم في جنّة المأوى ، ليختم مرثيته بعد ذلك كلّه بالحمد و الصّلاة على المختار يقول في الأبيات الثّلاثة و الأخيرة من هذه المرثيّة :

بَـاي يُعَـزَّهِمُ وَ يَرْجُو مِنْ رَبِّـهِ صَبْراً جميلاً عَلى المصابِ يَنْتَسِمُ
وأنْ نراه غداً مع جدّه المصطفى يجول في جنّة المأوى و يبتسمُ
والـختمُ بالـحمد للإلـه خَالِقنا وبالصّلاةِ عَلى المختارِ جدِّهمُ [1]

مما سبق عرضه من أبيات مرثيّة الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه ، و ضمها لمجمل نصّ القصيدة ، نجدّ أنفسنا مطوقين بمعاني الرّثاء ، و صور الحزن و التّفجع ، و ألفاظ الألم و التّحسر ، و عظم المصيبة ، و وطأة الوجد ، و ما يلفّ في ظلالها و يدور بساحتها ، و يخيم بأجوائها ، من ذكر لخصال الشّيخ ومكارمه ، و الرّحمة ، والصّبر الجميل، و التّأسي، و الدّعاء له بالرّحمة ، والأمل في النّعيم المقيم.

ث–رثاء محمّد باي بلعالم للشّيخ محمّد الزّاوي *(1940م – 2008 م):

رثى الشّيخ محمّد باي بلعالم الشّيخ محمّد بلكبير في قصيدة بلغت اِثنين و عشرين (22) بيتاً ، من البحر البسيط ، صدّرها بالبسملة ، و الصلاة النبي صلى الله عليه و سلم ، تلاها العنوان ، و الموسوم بـــ: " **الشّيخ السّيد الحاج محمّد الزّاويّ في ذمّـة الله و هذه مرثية من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم** ." [2]

شبه الشّيخ محمّد باي بلعالم موت محمّد الزّاوي بالمصيبة النّازلة من السّماء و تسببت له في النّسيان ، و ذاب القلب و اِحترق من شدّة وقعها عليه ، و لعجزه عن مقاومة آلم الفراق ، و عمّت الأحزان في مدينة الفقيد "**عين صالح** " يقول في مطلع المرثيّة :

مُصِيْبَةٌ نَـــزَلَتْ أنستنا مـــا سَبَقَا و الْقَلْبُ من وقعها قد ذَابَ و احْتَرَقَا
لدى الجنوبِ مُصَابٌ مُظْلِمٌ جَلَلٌ كُـلّ المناطقِ بالأحزانِ قَـدْ طَـرَقَـا
وَقَدْ دَهَى عِيْنَ صَالِحٍ قَذَى مُؤلِمٌ كَـأنّما بَـصَرُ الْـبِلاَدِ قَـدْ بَـرَقَا [3]

1–المرجع السّابق ، ص01.

الشّيخ محمّد الزّاويّ: ولد سنة 1359 هجريّة الموافق 1940 م بعين صالح ولايّة تمنراست ، أجازه كثير من العلماء من هم : الشّيخ أحمد الطّاهر الإدريّسيّ ،و الشّيخ محمّد باي بلعالم و غيرهما ، اشتغل بالتّدريس القرآنيّ و علوم الفقه و الحديث ،كان له الفضل في تأسيس معهد تكوين الأئمة و الإطارات الدّينيّة بعين صالح ، و كان مسؤوله الأول ، توفي 02رجب 1429 الموافق 05 جويلية 2008 ، ينظر: الصّفحة الإلكترونيّة الرّسميّة ، لعبد الرّحمّن مصطفاوي :
https://web.facebook.com/abdeerrahman.11

2– الشّيخ السّيد الحاج محمّد الزّاوي في ذمّة الله و هذه مرثيّة العبد الفقير محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الزّكينة ، بلديّة أولف ، ولايّة أدرار، ص01. 3–المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

إنّ فَقْدَ الشّيخ محمّد الزّاوي شابه خسوف القمر ، و كسوف الشّمس في حدوثهما ، لكّنّ موته و غيابه عن الدّنيا ،لم يفن خصاله و محاسنه و مناقبه و أخلاقه و علومه ، و فضائله ، و التي كانت تصدر منه أيّام حياته ، ستبقى خالدة لتشهد له بالخير إلى يوم القيّامة ، يقول عنها الشّيخ محمّد باي بلعالم :

و قد عرى قمرُ الأزمانِ* خسفٌ بدا والشّمسُ قَدْ كُسِفَتْ و نُورُها فَرقا
محمّدٌ الزّاويُّ مَاتَ وَ الخصالُ التي تـجري عليه ستبقى مَا الزَّمَانُ بَقَا
يَـفْنَى الـزَّمَانُ وَ لَا تَـفْنَى محاسِنُـه سَترتقِي مـعه في الخلْدِ حيث ارتقا [1]

وكيف لا تخلد تلك الخصال و المحاسن ، و للشّيخ محمّد الزّاويّ الفضل في تأسيس المعهد الإسلاميّ لتكوين الإطارات الدّينيّ والأئمة ، يهتم بتدريس القرآن الكريم و علومه ، و الحديث النّبويّ الشّريف و فروعه ، وفنّ الخطابة ، والدّعوة إلى الله و أساليبها... ، تخرجت من ذلك المعهد دفعات كثيرة ، وظّفَتْ في العديد من مساجد القطر الجزائريّ ، فضلاً عن إكرام الضّيوف والإحسان للآخرين ، يؤكد الشّيخ محمّد باي بلعالم في مرثيته :

مَسَاجِدُ القُطْرِ قَدْ أَسَّسْتَ مَعْهَدَهَا مَدَارِسُ الـذِّكْرِ قَـدْ نَسَّقْتَهَا نَسَقَا
مـأوى الضّيوفِ تجلى فِي ديّارِكُـم بالخيرِ وَ الجودِ و الإحسانِ قَـدُ أَشْرَقَا
مِـنَ الشّمالِ و الجنوبِ خيرُكُـمُ قَـدْ عَـمَّ مَغْرِبَنَا وعَـمَّ مَنْ شَـرَقَـا
مـن الـهُقّارِ و الشّـمالِ جَسْرُكُم إلـى المعارفِ و التّكوينِ قَـدْ سَبقا [2]

و باعتبار الشّيخ محمّد الزّاوي فقيد الأمة جمعاء ، بادر الشّيخ محمّد باي بلعالم بتعزيتها فيه ، و الدّعاء له بالرّحمة الكثيرة ، و سلوه في هذا الخطب الجلل الصّبر الجميل ، خاتماً مرثيته بالحمد و الثّناء على الله و الصّلاة على الرّسول صلّى الله عليه و سلّم و آله و الصّحب الكّرام ، مذكراً بالمصيبة النّازلة من السّماء ، يقول في أبياته :

فـــرحمةُ اللهِ بالآلافِ تعـدادُها عليك يا شيخنا من البدرِ قـد أَشْرقَا
باي يـعزي و عُزَّتْ فيك أُمَتَنا والصَّـبرُ أجـملُ للمصابِ إنْ طـرقَا
بالحمدِ نَختمُ و الصلاةِ تتـبعُه على الرَّسولِ الذي بالصّدقِ قدْ نطقا
والآلِ و الصّحبِ ما قالَ قائلنا مصـيبةٌ نـزلت أنـستنا مـا سَبـقا [3]

نستخلص بعد الفراغ من هذا المرثيّة أنّ الشّيخ محمّد باي بلعالم، حاول أنْ يشخص للقارئ صورة عن نفسيته ومشاعره ، عند سماعه بوفاة الشّيخ محمّد الزّاوي ، محمّلاً أبيات القصيدة جملة من الدّلالات المباشرة و غير المباشرة، كالرّثاء التّعزية ،والدّعاء... ، غايته القصوى رسم لوحة فنيّة، بأسلوب قادر على التأثير في المتلقيّ.

[1] – المرجع السّابق ، ص01 . 02–المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها . 3– المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.
* وردت في الأصل:الزّمان.

ج–رثاء محمّد باي بلعالم للشّيخ عبد القادر بكراوي (1931م – 2008م) * :

رثى محمّد باي بلعالم عبد القادر في قصيدة بلغت اِثنين و ثلاثين (32) بيتاً ، من بحـــر الكامل ، صدّرها بالبسملة ، و الصّلاة على النّبـــيّ الكريم صلّى الله عليه و سلّم ، جاء بعدها العنوان ، و الموسوم بـ : **" الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمّة الله و هذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم "**.[1]

يُـرجأ الحديث عن هذه المرثيّة إلى الفصل الثالث – بعون الله – لأنّها صميم البحث ، و مساحة التّـطبيق .

يظهر لنا من خلال عرضنا لهذه المراثي ، اشتراكها في الغرض الواحد و هو الرّثاء ، و في صنف واحد من أصنافه ، وهو "رثاء العلماء" ، وتمكُّنُ الشَيخ محمّد باي بلعالم من الكتابة فيه ، مع الـتزامه بطريقة عرض واحدة : (البدء بالبسملة و الصّلاة على النّبـيّ ، وبعدهما عنوان المرثية ثم استهلاله بالبكاء حزناً على فراق المتوفـى، فذكره لمكانة العالم بين الورى ، وتعداد محاسنه و خصاله ، ثمّ الإشارة للفراغ الرّهيب الذي خلّف ذاك العالم في نفوس محبيه فضلاً عن ذويه ، ثمّ تقديم الشّيخ محمّد باي بلعالم العزاء لعائلة الفقيد ، ليختم القصيدة بالدّعاء ترحماً و رجاءً من الله أن يجمعه بحبيبه في جنة المأوى) .

علاوة على تعدد الأبحر الشّعريّة ، و هذا برهانٌ عـلى تضلّعه وطول نفسه في قرض الشّعر ، وغزارة علمه ، وسعة اطلاعه الظّاهرة من خلال تنوع ألفاظه الممزوجة بثقافته الدّينيّة ، و المتأثرة بروح عصره . و سنكتشف ذلك –بإذن الله تعالى – في الفصل الثّالث ، من خلال دراستنا الأسلوبيّة المستفيضة لمرثية الشّيخ محمّد باي بلعالم في الشّيخ عبد القادر بكراويّ ، و القراءة التّأويليّة النّافذة إلى عمق المعاني و روحها ، و دلالات الألفاظ وإيحاءاتها، و أغراض الأساليب ومقاصدها.

---

* **عبد القادر بكراوي** : من مواليد 1931 م بقصر نومناس ، نشأ في أسرة ذات علم ، عُين مديراً لمديريّة الشؤون الدّينيّة بولاية أدرار ، عالم و مؤسس زاوية للتّعليم القرآنيّ و العلوم الدّينيّة ، تخرج منها عدد لا بأس به من الأئمة و معلمي القرآن الكريم ، توفي سنة 2008 .

1– الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمة الله و هذه مرثية من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولايّة أدرار، ص01. وكذلك بخزانة المدرسة الدّينيّة بالمهدية بلدية تيمي ، ولاية أدرار.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ :

الشّيخ محمّد باي في مرثيّته للشّيخ
عبد القادر بكراوي
" أنموذجا" .

المبحث الأول : ترجمة للشيخ عبد القادر بكراوي (1931م – 2008م)
المبحث الثّاني : قراءة أسلوبيّة في مرثيّة الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ عبد القادر بكراوي.
المبحث الثّالث : نقد المرثيّة و تقويمها .

الفصل الثّالث : الشّيخ محمّد باي في مرثيّته للشّيخ عبد القادر بكراوي " أنموذجا" .

المبحث الأول : ترجمة للشّيخ عبد القادر بكراوي (1931م – 2008م).

هو الشّيخ عبد القادر بن أحمد بكراوي، ولد خلال 1931م بقرية بنومناس بلديّة تمنطيط ، ولايّة أدرار ، حفظ القرآن الكريم على يد والده ، كما حفظ مصنف مختصر خليل في الفقه ، و ألفية بن مالك في النّحو، ثم انتقل إلى مدرسة الشّيخ محمّد بلكبير بأدرار، أتمّ فيها حفظ بعض المتون كمتن الرّسالة لأبي يزيد القِرَوَانِيّ ، و منظومة الحساب ، و لفت أنظار الطّلبة و الزّوار بالمدرسة ، لشدة حفظه ، وسرعة بداهته وتمكنه في علم الفقه و علم النّحو، و علم الحساب ، واِستخلصه الشّيخ على اِنفراد لمناقشة المسائل العميقة .[1]

وبعد وفاة والده خلفه في التّدريس بالمدرسة «بنومناس» ، والتي تخرج من العديد من الأئمة والحفّاظ ، وطلّاب العلوم الشّرعيّة ، توفي عبد القادر بن أحمد بكراويّ النّومناسيّ – رحمه الله – يوم الثّامن والعشرين من شهر أوت عام ألفين و ثمانية (28 أوت 2008) .

المبحث الثاني:قراءة أسلوبيّة في مرثيّة الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ عبد القادر بكراوي .

نصّ المرثيّة :

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على النبي الكريم
الشيخ السيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمة الله
و هذه مرثية من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم [2]

فَارَقَ الْحَـيَاةَ صَدِيْـقَناَ الْمُكَرّمُ وَغَـدَا لِـدَارِ الْخُلْدِ فِيْهِ يُكَـرَمُ
بِـدَرِ الْمَعَارِفِ قَـدْ تَغَيَّرَ لَـوْنُهُ لِمَوْتِ هَذَا الشّيْخِ فَهْوَ مُـظْلِمُ
وَتَـزَلْـزَلَتْ أَطْـوَادُنَا وَبِحـارُنَا غَـارَتْ وَ غَـابَ الْمَـعْلَـمُ
وتَشَرَفَتْ بِـهِ الْقبُورُ وَ نُوِّرَتْ وَبِدَفْنِهِ تَحـيَّا الْقُبُورُ وَ تَـنْعَمُ
فَـعَلَيْكَ يَا عَبْداً يُضَافُ لِقَادِرٍ أسمى السَّلامِ بِالثَّنَاءِ يُـدَعَّمُ
صَفُّ الْمَشَايِخِ مِنْكَ صَارَ شَاغِراً لاَيُمْكِنُ الْبَدِيْلُ عَنْهُ يُتَمَّمُ
قَـدْ كُنْتَ يَا شَيْخَ الزّمانِ منارةً تَهدي الأنَامَ بعلمكُم و تُكرمُ
قَـد كُنتَ للأجدادِ خيرَ خليفةٍ تَحْيا الجدودُ بفَضلِكُم وتُرحِمُ
وتَـرَكْتَ للأحفادِ مجداً رائعاً تَسمو به أحفادُكم وتَغنمُ
وتَنورتْ أقطارُ ربِّ بِعلمكُم فالغيثُ من سمائِكم معممٌ
وتَخرجتْ من فيضِكُم نوابغٌ قد علَّمُوا بالعلمِ مَنْ لاَيعلمُ

1 – النّبذة في تاريخ توات و أعلامها ، عبد الحميد بكري ، الطّباعة العصريّة ، برج الكيفان ، جانفي 2012.
2– الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمة الله ، المرجع السّابق ، ص 01.

لَـــمْ يقتصرْ على توات علمُكم بَلْ عَـمَّ أصقاعاً و مـــنه تعـلَّمـوا
قَد كُنتَ فِـي علمِ الشَّريعةِ بَارعاً فِـــي النّحو والأصولِ أنتَ مقـدمٌ
مَا كنتَ قَطُّ في الفتاوى مسارعاً بَل كنتَ تبحثُ في الفتاوى فتسلمُ
فِي الجودِ بحر لَيْسَ يُدركُ قـعرهُ لِـكُلِّ قـاصدٍ لَـكُم و مُـتَـيَّمُ
مَا كُنْـتَ قطُّ بالتّـخريفِ مؤمنا و كَـذا التّـطرفُ أنتَ منه سالـمٌ
بَلْ كُنْتَ معتدلا ولَيستَ مداهنا بَلْ كُنْتَ في الميدانِ أنتَ الضِّرغمُ
فَـلكَ الصَّراحةُ دِيـدَناً وَ طبَيعَةً مَـا كُـنْتَ قَـطُّ للـطُّغاةِ تُـدْعِـمُ
لَك فـي المعارفِ صَولةٌ و دِرايةٌ ولَـك الشَّجاعةُ في الميادين معلمٌ
ولك الفصاحةُ في الخطابِ تُجتلَى ولَكَ فـي الثَّقافةِ فِي المفاهِمِ سُلَّمٌ
ولك في النّـزاهةِ شَيمةٌ و عِنايةٌ لاَ تَـــرْتَـــجِي غَيْـرَ الإلهِ يَرحمُ
و إذا جلستَ في المدارسِ نـاطقاً عليك المهابةُ إن جلستَ تُعممُ
إن متَ لم تمتْ علومُكَ في الورى فالعلمُ لم يـمتْ و ليسَ يعـدمُ
تحمي الصُّدورُ علومَكم من الفنا ويُـبَثُّ للأجـيالِ ليسِ يُكـتمُ
في يوم كبَّ من جمادى تَجمدتْ أفـراحُنا و الـــحزنُ فـينا يُرسمُ
مِـنْ هجرةِ الـمختارِ عَام طَكَتَّشٍ* والله للـفقيدِ يعـفو و يـرحـمُ
يا شيخنا البكراوي نَـمْ مـنعماَ مثلَ العروسِ في الضَّريحِ تُنعمُ
تَرى مكانكَ في الجنان مـزخرفاَ فـيه الفواكهُ و الطّيورُ تـــرنـمُ
فيه ما ليس العينُ تُـدركُ كُـنْهَهُ كَـلَّا ولاَ أذنٌ لِـسِـرِّه تَـلْقَمُ
يَا أسرةَ البكري نُعزي جـمعَكم والصّبرُ أجمـلُ و الثَّوابُ يعظمُ
بَـاي يُـعـزِّكم و يـرجو ربَّهُ عَـفوا ورحـمةً بِـذا يـكـــرمُ
ثمَّ الصّلاة والسّلام على النّبيّ وآله بالـحمدِ للإله نَـظْمِي يُختمُ

حَوْلَ الـنَّصِّ :

هذه مرثيّة جاءت في اِثنين و ثلاثين (32) بيتاً ، ، حررها محمّد باي بلعالم بمناسبة وفاة الشّيخ عبد القادر بكراوي ، بحكم المحبّة برهاناً على صحبتهما ، و عربون وفاء لمحبته له ، فضلاً على مكانة الشّيخ بكراوي العلميّة ، عنونها بـــ" الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمّة الله و هذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم " ، و هي المرثيّة السّابعة و الأخيرة من مجموع المراثي ، تحريراً وزمناً ، إذ اِلتحق المؤلف الشّيخ محمّد باي بلعالم –رحمه الله–بالرّفيق الأعلى و العالم الأخرويّ الأبديّ ، بعدها بسنة واحدة فقط .

* طَكَتَّشٍ : رمز لسنة 2009م ، ينظر : حمّارة الحساب ، بالملاحق.

أسلوبيّة العنوان :

لقد سبقت لنا ، و أن تعرضنا لأهمية العنوان في النّصوص ، و أكّدنا على أهميته البالغة و خطورته في النّصّ ، و تأثيره على الفهم و إدراك للأبعاد ، و كشف أسرار النّصوص و خباياها و مضامينها ، تأسر القارئ و المتلقي لحظة قرأته ، إلى غاية يمتلك فيها ذلك العنوان السّلطة على النّصّ ، بحسب ما ورد يقول عيساني بلقاسم بخصوص العنوان : « إن قراءة المفاتيح أهم عمل يمرّ عليه القارئ المبدع للولوج إلى معنى النّصّ ، و العنوان بمفهوم جيرار جينات عتبة من عتبات النّصّ و من أهم مفاتيحه ، إذ هو أولى الإشارات التي يتلقاها القارئ قبل النّصّ الثّاني... و يمكن اعتبار العنوان سُلْطَةَ النّصِّ وواجهته الإعلاميّة تمارس على المتلقيّ تأثيرها ».[1]

من هذا المنطلق كان لزاماً التّذكير بمفهوم الأسلوبيّة ، إذ ينقل عبد الجليل مرتاض تعريف جورج مونان للأسلوبيّة في قوله : « إنّ الأسلوبيّة يجب أن تكون الدّراسة العلميّة لفنيات أدبيّة لسانيّة بحيث إن مرسلة تحتاج زيادة عندما تؤدي وظيفة شعريّة أو أدبيّة ، أو بصورة أوسع جماليّة علاوة على وظيفتها التّبليغيّة الاعتياديّة ».[2]

فبعد تأملنا عنوان المرثيّة :" **الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمّة الله و هذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم**".[3]

نجد بأن كلماته المفتاحية و عباراته الأساسيّة : (الشّيخ عبد القادر بكراوي / في ذمّة الله / العبد / الفقير / محمّد باي بلعالم) ألفاظ حبلى بإيحاءات و دلالات كثيرة ، و من باب الاجتهاد و التّأويل ، نذكر منها ما يلي:

الجدول رقم 01: القراءة الإيحائيّة التّأويليّة.

المفردة	القراءة الإيحائيّة التّأويليّة
الشّيخ	الاعتراف بالعلم للشّيخ عبد القادر بكراوي ...
عبد القادر بكراوي	التّخصيص / التّعريف / التّعيين /التّمييز ....
في ذمّة الله	الفقد و الحزن و البكاء الفراق / المصير / المستقر / المستودع / التّسليم لقضاء الله...
العبد	الخضوع / الانكسار / الذّل / الإقرار العبوديّة لله ...
الفقير	الافتقار / الحاجة / العوز / الفَقْد / التّذلل لله سبحانه و تعالى ...

1- النّصّ المفتوح في الشّعر الجزائريّ المعاصر ، عيساني بلقاسم ،المرجع السّابق ، ص 123.

2- اللسانيّات الأسلوبيّة ، عبد الجليل مرتاض ، دار هومه ، للطّباعة و النّشر والتّوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص ص106،107.

3- الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمة الله و هذه مرثيّة العبد الفقير محمّد باي بلعالم ، المرجع السّابق ،ص 01.

من خلال الجدول نلاحظ تشارك المفردات السّابقة والمركّبة للعنوان مع معانيها إيحاءاتها و تأويلاتها ، و دلالات البسيطة و العميقة على حد سوى ، و كذا على المستويين (الأفقي و العمودي) ، في إنتاج نصّ شعريّ ، من القالب العموديّ ، ببحر بسيط ، يكشف فيه الشّيخ محمّد باي بلعالم للمتلقي حالته النّفسيّة ، و عمق تأثره و حزنه على فراق عبد القادر بكراوي ، فهو يستدعي لحظات يعذّ عليه نسياها ، شكلت صوراً لامعةً في وجدانه و شعوره .

1-على المستوى البنية :

صِيْغَ العنوان في جملتين اسميتين معطوفتين ، الجملة الأولى : "الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمّة الله" ، مبتدأ (الشيخ) ، متبوع بصفتين له (السّيّد و الحاج) و بدل (عبد القادر بكراوي) ، و الحرص على أن يكون خبره شبه جملة الجار و المجرور"متعلق بخبر" و هو: (في ذمّة الله) ، يفيد الغاية و الانتهاء و المستقر و المصير المحتوم .

أما الجملة الثّانية: "هذه مرثية من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم " ، مبتدأ (هذه) ، و هو اسم إشارة حدد به الشّيخ محمّد باي بلعالم مقصديته إلى الخبر (مرثيّة) ، و هو خبر عن الوفاة و الحزن و البكاء و لوعة الفراق . تعلق بهما شبه جملة : (من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم) للفت المتلقي إلى مصدر ذلك الحزن و البكاء ، و هو" محمّد باي بلعالم" واصفاً نفسه بالعبوديّة و الفقر لله .

2- على مستوى الدّلالة :

تتوزع العناصر المشكلة للعنوان : (الشّيخ / عبد القادر بكراوي / في ذمة الله / العبد / الفقير / محمّد باي بلعالم) وهي اللبنات المركزيّة ، تأسست عليها معاني أبيات القصيدة ، و ذاك ما تزعمه وداد بن عافية في قولها :« يمثل العنوان فيها العنصر الاستهلاليّ للقصيدة الذي ولد طاقة توليديّة بداخلها ، فالاستهلال عنصر بنائي للنص بكامله و أبيات القصيدة مجبرة على الخضوع لقوانينه ، و بذلك يتحول إلى عقد بين الشّاعر و السّامع» .[1]

أوّلاً- التّكرار على المستوى الصّوتيّ :

المتتبع للبناء النّظمي للقصيدة يجده بناءً و زنياً ، يعكس المظهر الصوتيّ الخارجيّ للمرثيّة ، و يمثل ذلك و فاءً فنياً لنموذج القصيدة العموديّة و التي تقوم على التأثير السّمعيّ ، يستعين فيه الدّارس على علم الجمال اللغويّ ، و هو علم « يهتم بالجانب الصوتيّ و الفونولوجيّ في النّصوص الجميلة ، حيث يساعد على كشف

[1] - أسرار النّصّ دراسات في الشّعر العربي المعاصر ، وداد بن عافية ، دار الهدى للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ،ط 01 ، السّداسي الأول ،2017م ، ص 17.

التّوظيف الصوتي لتجسيد الخيال ، و تحقيق الصورة شارحاً أبعاد التكرار ، و التّقابل ، و التوازي في مستوى الأصوات المفردة و مستوى السّياق الصّوتيّ ».[1]

إنّ توظيف علم الأسلوبية يعيننا على دراسة الوحدات الصوتيّة ، و السّياق الصوتيّ في النّصّ ، و تفسير العلامات التي تؤدي معاني و إيحاءات ، و صوراً ساعدت على نقل الفكرة إلى ذهن القارئ ، و التي تتحقق بطرق شتى ، يعتبر الإيقاع الدّاخلي و الخارجي أحدها .

يمكننا تلمس هذا النّمط الإيقاعيّ من خلال عنصر هيمن على أبيات المرثيّة بشكل لافت و هو التّكرار ، و في المقطع الشعريّ التّالي دليل يفي بالغرض ، إذ نرى تكرار الأحرف (التاء : 11مرة ، اللام:16 مرة ، الميم : 10 مرات) ، وتكرار للأسماء ،كاسم (القبور : 02مرتين) ، و تكرار للضمير المتصل ، كضمير جماعة المتكلمين (نا) في الألفاظ (صديقنا ، أطوادنا ، بحارنا : تلاث مرات) فيها الشّيخ محمّد باي بلعالم:

فَـارَقَ الْحَيَاةَ صَدِيْقَنَا الْمُكَرَّمُ وَغَدَا لِدَارِ الْخُلْدِ فِيْهِ يُـكَـرَمُ
بِـدَرِ الْمَعَارِفِ قَدْ تَغَيَّرَ لَـوْنُهُ لِمَوْتِ هَذَا الشَّيْخِ فَهْوَ مُظْلِمُ
....
وَتَـــزَلْزَلَتْ أَطْوَادُنَا وَ بِحَارُنَا غَـارَتْ وَ غَـــابَ الْـمَعْلَمُ
وتَشَرَفَتْ بِهِ الْقبُوُرُ وَ نُوِّرَتْ وَبِدَفْنِهِ تَـحْيَّا الْقُبُورُ وَ تَنْعَمُ [2]

أ - التّكرار على مستوى الحرف :

يعتبر الحرف العنصر الأصغر في التّأليف الكلاميّ ، وهو ما يعرف عند الألسنين كلندريه مارتينيه بالفونيم ، استطاع الشّيخ محمّد باي بلعالم أنْ يختار أصوات معينة ، و التّركِيْز عليها من أجل التأثير المتلقيّ (القارئ ، السّامع) مدى الطّاقة التّعبيريّة التي تتضمنها الأصوات المهيمنة على المرثيّة ، و الجدول التّالي يوضح بعض أصوات الحروف و عدد تكرار و صفاتها :

الجدول رقم 02 : أعداد الحروف المكررة في المرثيّة وصفاتها.

الحرف	العدد	الصفة		الحرف	العدد	الصفة
الألف (ا)	141	الجهر		النّونُ (ن)	63	الجهر
اللاّمُ (ل)	141	الجهر		الرّاءُ (ر)	61	الجهر
المُيْمُ (م)	121	الجهر		الفاءُ (ف)	48	الهمس

[1] - محاضرات في الأسلوبيّة ، محمّد بن يحي ، مطبعة مزوار ، الوادي ، الجزائر ، ط01 ، 2014م ، ص ص 54،55.

[2] - الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمّة الله و هذه مرثيّة العبد الفقير محمّد باي بلعالم ، المرجع السّابق ، ص 01.

التَّاءُ (ت ، ة)	101	الهمس		الكَافُ (ك)	47	الهمس
الواو (و)	90	الجهر		العينُ (ع)	34	الجهر
الياء (ي)	85	الجهر		الدّال (د)	41	الجهر

من خلال الجدول نلاحظ طغيان فونيمات ذات صفات محددة على غيرها من الفونيمات ، فالأصوات المجهورة (ا ، ل ، م ، و ، ر ، ع ، د) أكثر من الأصوات المهموسة (ت ، ف ، ك)، وهذا يعكس رغبة الشّيخ محمّد باي بلعالم في الجهر بمصابه الجلل ، و آلمه و حزنه و تأثره الشديد بموت الشّيخ عبد القادر بكراوي ، لفظة موت أربع مرات ، بين اسم (موت)، و فعل (إنْ مِتَ ، لَمْ تَمُتْ ، لَـمْ يَمُتْ) ، وهي ألفاظ حملت ثلاثة حروف مجهورة (م ، و ، ي) ، في مقابل حرف (التاء) المهموس ، و الملاحظة ذاتها تُقال في ثنائيّة صفتي الشّدة و الرّخاوة ، و المراوحة بين الجهر و الهمس ، ولا غرو أنّـه يخدم موضوع القصيدة ،كما يخدم إيقاعها الدّاخليّ .

فمن حيث الموضوع ، يحدث الموت عادة في من رآه ، أو سمعه اضطراباً و قلقاً ، يغير من مزاجه ، و يدفع به للتّعبير عن خلجات نفسه ، و البوح بوطأة نّبأ الوفاة على قلب ، فيجهر بنفاذ صبره ، و ضيق حاله ، في يندب ، و يتحسر ، و يتضجر ، و يفزع ، و يهلع ، و يعد ذلك التّعبير الملاذ الوحيد ، و الذي يجهر فيه المحب بمشاعره و معاناته اتجاه من يحب ، بسبب الفَقْدِ .

إن تواتر تلك الحروف و تكرارها منح المرثيّة جرساً موسيقياً ، يدفع بالقارئ لاستعذاب ألفاظها ، و يتذوق معانيها ، وتتجسد مضامينها ، و دلالاتها كلماتها ، و عباراتها ، و إدراك بعض إيحاءاتها ، ومن أمثلة الإيقاع الدّاخليّ على مستوى تكرار الحرف الوارد في المرثيّة ، نذكر قول الشّيخ محمّد باي بلعالم :

فعليك يَا عبداً يُـضَافُ لِقادرٍ أسمى السّلامِ بالثّناءِ يُدَعَّمُ
صَفُّ المشايخِ مِنْكَ صَارِ شَاغراً لا يمكن البديلُ عنه يتمـمُ
قَدْ كُنْتَ يَا شيخَ الزّمانِ مـنارةً تَهدي الأنامَ بعلمكُمْ و تُكْرِمُ [1]

فتكرار حرف (الميم) مثلاً ، جليّ لكّل متلقيّ (السّامع و القارئ) ، ففي عجز البيت الأول كُرِرَ حرف الميم ثلاث مرات ، في بنية الكلمات الثّلاثة : (أسمى ، السّلام ، يُدَعَّمُ) ، أمّا في البيت الثّانيّ تكرر في بنية أربع ألفاظ :(المشايخ ، منك ، لا يمكن ، يتمم) ، و أمّا في البيت الثّالث ،كُرِرَ حرف الميم في بنية خمس ألفاظ :(الزّمان ، منارة ، الأنام ، بعلمكم ، تكرم) .

1 – الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي ، المرجع السّابق ، ص 01.

ب- التّكرار على مستوى الكلمة :

وَظَّفَ الشّيخ محمّد باي التّكرار على مستوى الكلمة ، كتكرار كلمة (القبور) مرتين في البيت الرّابع ، و ذلك في قوله :

وتَشَرَّفَتْ بِـهِ الْقُبُورُ و نُـوِّرَتْ وبِدَفْنِهِ تــحيا الْقُبُورُ و تَـنْعـَمُ [1]

و تكرار كلمة الأجداد في و الأحفاد مرتين على التّوالي في البيتين الثّامن و التّاسع ، يقول الشّيخ محمّد باي مدللاً على سير الشّيخ عبد القادر بكراوي على خطى أجداده ، و خلافته لهم في حياته ، و أثر ذلك على أرواحهم ، و بصمة إرثه في أحفاده بعد وفاته ، إذ يَسْمُونَ بفضله ، ويغنمون من معينه و ينعمون به ، يقول الشّيخ محمّد باي بلعالم في هذا الصّدد :

قَدْ كُنْتَ للأجدادِ خَيْرَ خَلِيْفَةٍ تَـحْيَا الْجُدُودُ بفضلِكُمْ و تُرْحَمُ
وتركت للأحفـادِ مجـداً رائـعا تَسْمُـو بِــهِ أحفادُكُمْ و تَغْنَمُ [2]

و في الجدول التّالي إحصاء لبعض الكلمات المكررة ، و التي تجاوز عددها أكثر من اثنين في المرثيّة :

الجدول رقم 03: الكلمات المكررة (الأفعال / الأسماء / الضّمائر / حروف المعاني).

الأفعال		الأسماء		الضّمائر		حروف المعاني	
الفعل	العدد	الاسم	العدد	الضّمير	العدد	الحرف	العدد
كُنْتَ	09	العلم	08	ضمير المخاطب (أنت)	03	(في) الْجَارّة	17
لَيْسَ	05	الشّيخ	04	الضّمير المتّصل جماعة المخاطبين (كم)	11	(ما) النّافية	04
عَلِمَ	03	الله	03	كاف الخطاب (ك)	10	(يا) النّداء	04
مَاتَ	30			تاء المخاطب (تُ)	14	(بل) للعطف	04
يُكْرَمُ	04			الضّمير جماعة المتكلمين (نا)	50	(قد) للتّحقيق	05
يُرْحَمُ	03			ضمير المفرد الغائب (هو)	12	(لا) النّافية	04

في قراءة سريعة للجدول نلاحظ الحركية الفعلية المرثيّة ، و المؤسسة على تكرار الأفعال و توالدها بعضها ، مما جعل ذلك التّكرار يفُوقُ تكرار الأسماء ، و هذا إيحاء لاهتمام الشّيخ محمّد باي برصده لحركات الشّيخ

1 – الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي لمرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.
2–المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

البكراوي وأعماله ، وحرصه على أفعال بعينها كالفعل الماضي النّاقص " **كُنْتَ** " المكرر تسع مرات ، الموحي بحاجة النّاس لمثل تلك الأفعال الصّادر من شيخ عالم ، و الفعل عَلِمَ الوارد بصيغ متباينة في المرثيّة (قد علموا ، لا يعلم ، تعلموا) ، يوحي بانشغال الشّيخ البكراويّ بالعلم و فنونه ، و اجتهاد طلبته في تعلّمه و تعليمه لغيرهم بعد تخرجهم من عنده ، يقول الشّيخ محمّد باي بلعالم في ذلك :

و تَنورتْ أقطار رَبِّ بعلمِكُم فالَغيثُ مِنْ سمائِكم مُعممٌ
و تخرجتْ من فيضِكم نوابغٌ فقدْ علَّموا بالعلمِ مَنْ لَا يعلمُ
لم يقتصرْ على تواتٍ علمُكم بَل عمَّ أصقاعاً و منه تعلَّمُوا [1]

وما تكرار الشّيخ محمّد باي بلعالم للفظة " العلم " ثمان مرات ، و بصيغ متخلفة منها : (العلم ، بعلكم ، علومك ، علومكم ، علم الشّريعة) ، إلّا تأكيداً على حبّ الشّيخ عبد القادر بكراويّ للعلم ، و اهتمامه بتعلمه للنّاس و الرّاغبين في طلبه ، و بقاء علمه متوارثاً محمياً في صدور من تعلموه عنه ، و علّموه لغيرهم ، مبثوثاً في الأجيال المتعاقبة ، مما يوحي باستمرار حياة الشّيخ ، بالرّغم من فقدان شخصه ، و جسده ، و انتقال روحه إلى الملكوت الأعلى ، يؤكد ذلك الشّيخ محمّد باي بلعالم في المرثيّة بقوله :

إنْ مِتَ لَمْ تَمُتْ عُلُومُكَ في الورى فَالعِلْمُ لَمْ يَمُتْ و ليس يُعْدَمُ
تحمي الصّدور علومكم من الفنا و يُبث للأجيالِ لَيْسَ يُكْتَمُ [2]

كما يُلاحظ تكرار الشّيخ للضّمير المفرد المخاطب المذكر (تَ) أربع عشرة مرة ، يُضاف إلى هذا العدد تكرار الضّمير المتصل كاف الخطاب (ك) بتكرار بلغ عشرة مرات ، كما يُضاف إلى المجموع ، تكرار الضّمير المتّصل لجماعة المخاطبين (كُمْ) ، و العائد في مجمل تّكراراته الانزياحيّة على الشّيخ البكراوي ، تَقصّد الشّيخ محمّد باي قصداً ، مدركاً لأغراضه ، و غاياته.

ج- التّكرار على مستوى العبارة :

كان للعبارة نصيب من التّكرار في المرثيّة ، يظهر ذلك للمتلقيّ من خلال إلقائه نظرةً خاطفةً على المرثيّة ، و الجدول التّالي يحصي و يوضح بعض العبارات الأوفر حظّاً من ظاهرة التّكرار ، مع العبارات المتولدة عنها ، وعدد تكراراتهما :

---

[1] – الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي ، المرجع السّابق ، ص 01.

[2] –المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

الجدول رقم 04: إحصاء العبارات المكررة في المرثيّة .

العبارة المكررة	العدد	العبارة المكررة	العدد
قـدْ كُنْتَ	03	بعلمكم	02
مـا كُنْتَ	03	يكرم	02
بَلْ كُنْتَ	03	يرحم	02
ولك	04	تنعم	02
فيه	02	مِنْهُ	02

إنّ المتلقي للمرثيّة و المتأمل للجدول و على وجه الخصوص القارئ البصريّ ، يرى مشروعية النّسق الإخباريّ متجليّةً من خلال تكرار الفعل (**كُنْتَ**) ، و في ثلاث صور متباينة : التحقيق (**قَدْ كُنْتَ**) و النفي (**مَا كُنْتَ**) ، والإضراب العطفي (**بَلْ كُنْتَ**) ، و في تكرارات متساوية متوازية ترسم في ذهن ذلك القارئ لوحة فنيّة جميلة ، تزيد في محبته للفقيد ، يقول الشّيخ محمّد باي بلعالم مؤكداً و متحققاً و مخبراً عن بعض أفعال الشّيخ عبد القادر بكراوي :

قَدْ كُنتَ يَا شيخ الزّمانِ منارةً تَهدي الأنامَ بعلمكم و تُكْرِمُ
قدْ كنتَ للأجدادِ خيرَ خليفةٍ تحيا الجدودُ بفضلِكم و تُرحمُ [1]

وفي موطن يواصل الشّيخ محمّد باي تأسيسه لمشروعية النّسق الإخباري ، مكرراً تحقيقه مثبتاً للشّيخ عبد القادر بكراوي براعته في علم الشّريعة و النّحو و أصول الفقه ، نافياً عنه صفة التّسرع في إصدار الفتاوى، و الإيمان بالخرافة ، والتّطرف في الدّين و حتى المداهنة ، و عاطفاً على خصاله الأولى بميزة البحث والتّحري و الاعتدال و ضارباً في الوقت ذاته عن تلك الصّفات الذّميمة ، إذ يقول :

قَدْ كُنتَ في علمِ الشّريعةِ بارعا فـي النّحو و الأصولِ أنتَ مـقـدمُ
مَا كُنْتَ قَطُّ في الفتاوى مسارعا بل كُنتَ تبحثُ في الفتاوى فتسلمُ
مَـا كُنْتَ قَطُّ بالتّخريفِ مـؤمنا وكـذا التّطـرفِ أنتَ مـنه سالـمٌ
بل كنت معتدلاً و لستَ مدَاهنا بل كـنت في الميدان أنتَ الضّرغمُ [2]

[1] – الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي ، المرجع السّابق ، ص 01.
[2] – المرجع نفسه ، الصّفحة نفسها.

و للتّراكيب الإسناديّة صور من صور التّكرار ، اعتمدها الشّيخ محمّد باي بلعالم في نظمه للمرثيّة ، مثل تكراره ضمير المفرد المخاطب كاف الخطاب (ك) ، و المسبوق بلام الجرّ (لــ) منتهياً إلى الصّيغة التّالية : (لك) ، يقول الشّيخ محمّد باي بلعالم ناسباً للشّيخ عبد القادر بكراوي جملة من السّمات و المميزات :

فلك الصّراحةُ ديدناً و طــبيعةً مَــا كنتَ قـطُّ للطّـغاةِ تُذْعِــمُ
لك فـي المعارف صولةٌ و درايـةٌ ولك الشّجاعةُ في الميادين معلمٌ
ولك الفصاحة في الخطاب تجتلى ولك في الثّـقافةِ فـي المفاهم سلمٌ
ولك في النّـزاهةِ شيمةٌ و عـنايةٌ لا تـرتــجي غـير الإلـهِ يـرحــمُ [1]

لم يكن التّكرار عند الشّيخ محمّد باي في رثائه للشّيخ عبد القادر بكراوي عشوائيّاً اِعتباطيّاً عبثيّاً ، بل جاء منسجماً مع حالته الشّعوريّة و النّفسيّة ، وكذلك تجربته الشّعريّة ، ناقلاً صداق عواطفه الجيّاشة ، متماشيّاً مع أحاسيسه الوجدانيّة ، موزعاً بشكلٍ فنيّ رائقٍ في جمل و عبارات ، و ألفاظ (أسماء ، و أفعال ، و حروف) القصيدة .

إنّ غاية الشّيخ محمّد باي من هذا التّكرارات في مجموعها ، هي إحداث توازن شكليّ و ضمنيّ و فنيّ في القصيدة من ناحية ، و لتأكيده على مكانة الشّيخ البكراوي العلميّة ، وما أحدثه موته من فراغ رهيب في الميادين العلميّة ، و كذا بيان فضائله وخصاله ، و عِظَمِ آثاره العمليّة الخالدة على مدى الأزمان من ناحية أخرى .

ثانياً– التّشاكل في المستوى التّركيبيّ :

يعرّفه محمّد مفتاح بقوله : « التّشاكل تنمية لنواة معنويّة سلبياً أو إيجابيّاً ، بإركام قسريّ ، أو اِختياريّ لعناصر صوتيّة و معجميّة صوتيّة و تركيبيّة و معنويّة و تداوليّة ضماناً لانسجام الرّسالة » .[2]

يرى محمّد تحريشي بأن خاصية التّشاكل تحدد من خلال علاقة الألفاظ ببعضها ، و علاقة تلك الألفاظ بالنظام اللغوي للنص ، يقول في ذلك : « تتحدد هذه الخاصية من خلال علاقة الألفاظ بعضها ببعض ، و من خلال علاقة هذه الألفاظ بالنّظام اللغوي للنّص ».[3]

لا ترى وداد بن عافية مواصفات أو سيمات قياسيّة قارة ، يمكن للقارئ الاتكاء عليها لسبر أغوار النّصّ ، وتمكنه تأويل دلالاته ، بل التّشاكل عندها ، يقوّى و يضعف ، بحسب تفاعل المفردات داخل الخطاب المنسجم ، فتقول : « ليس للتّشاكل مواصفات محددة ، و إنما هو رهين تراكم مستوى معين من مستويات الخطاب ، فكلما كان ضغط لغويّ على كلمات بعينه أو على مفرداتها أو على تركيب يؤدي نفس الدّلالة

---

[1] - الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي ، المرجع السّابق ، ص 01.

[2] - تحليل الخطاب الشّعريّ (إستراتجية التّناص) ، محمّد مفتاح ، المركز الثّقافيّ العربيّ ، المغرب ، ط01 ، 2005 ، ص25.

[3] - أدوات النّصّ: دراسة ، محمّد تحريشي ، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2000 ، ص 17.

عبر مستوى معين : معجميّ ، صوتيّ- إيقاعيّ ، تركيبيّ- نحويّ ، دلاليّ ، كان حضورُ التّشاكل قويّاً في بناء الدّلالة وضمان نوم و انسجام الخطاب ».[1]

نعرض في هذا المقام صورتين من صور التّشاكل ، على مستوى بداية البيتين الشّعرين التّاليتين و نهايتهما :

الصّورة الأولى : البداية بحرف التّحقيق (قد + الفعل كان) و الختم بجملة حاليّة فعليّة .

يقول الشّيخ محمّد باي مخبراً عن بعض أعمال الشيّخ عبد القادر بكراوي في حياته :

قَدْ كُنْتَ يَا شَيْخَ الزّمانِ منارةً تـهدي الأنامَ بعلمِكُم و تكرمُ
قَدْ كُنْتَ للأجدادِ خيرَ خليفةٍ تحيا الجدودُ بفضلِكم و تُرحمُ[2]

تشاكلت بداية البيتين في العبارة " **قَدْ كُنْتَ** " .

(قد كنت = قد حرف تحقيق + الفعل الماضي النّاقص كان + الضّمير المتصل "تَ" المخاطب) ، أورد الشّيخ محمّد باي بلعالم هذه العبارة عند بداية ذكره لمناقب الشّيخ عبد القادر بكراوي ، ثم وصفه بالمنارة ، التي تهدى الحيارى و الضّلال بنورها ، إذ جعل نور الشيخ علمه ، يهتدي به الأنام ، وبدأ البيت الموالي بالعبارة نفسها ، " **قد كنت** "، ثم وصفه بنعت " خير خليفة " تصل جيل الأجداد بجيل الأحفاد ، تكسب الأجداد بفضلها حياة إحياء بدوام ذكرهم)

كما تشاكلت نهايه هذين البيتين الشعريين في صورة الجملة الحالية الفعلية (و تكرم / و ترحم) ، تداخل معنى الجملة الأولى (و تكرم) الواردة في نهاية البيت الأول ، و المقتضية لمعنى :الكرم و العطاء و الرّحمة ، مع معنى الجملة الثانية (ترحم) الواردة في في نهاية البيت الموالي ، و المقتضية لمعنى : الرّحمة ، و السّخاء ، و الكرم).

الصّورة الثّانيّة : تكرار النّفي للإثبات .

إنْ مِتَ لَـمْ تَمُتْ عُلُومُكَ في الورى فَالعِلْمُ لَـمْ يَمُتْ و ليس يُعْدَمُ
تحمي الصّدور علومكم من الفنا و يُبث للأجيالِ لَـيْـسَ يُـكْتَمُ[3]

لقد تشاكل معنى صدر البيتين الشّعريين :

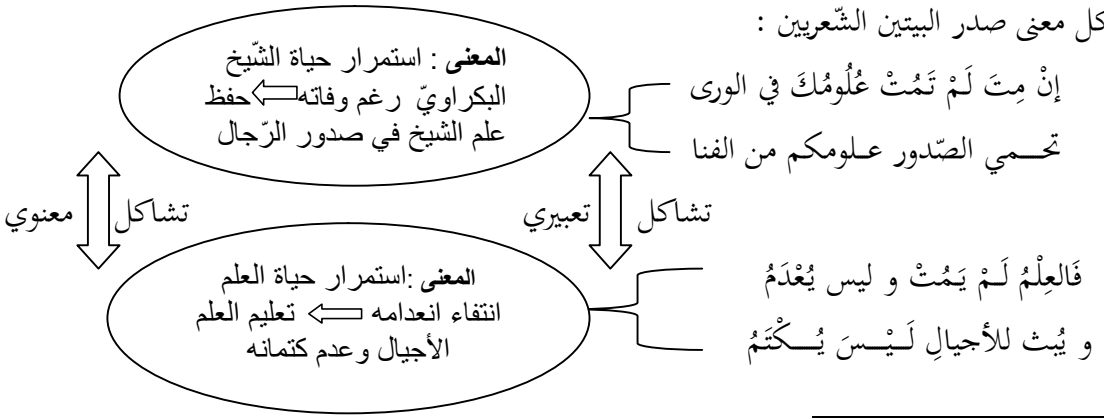

[1] - أسرار النّصّ، وداد بن عافية ، المرجع السّابق ، ص ص 18، 19.

[2] - الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي ، المرجع السّابق ، ص 01.

[3]- المرجع نفسه ، ص 01

ثالثًا– التّقابل على المستوى المعجميّ :

من أعظم الظّواهر التّي تبرز في الدّراسة الأسلوبية ظاهرة التقابل ، لما لها من أثر بلغ في تأويل النّصوص و تحليلاتها المختلفة ، ومن أنواع التّقابلات ، التقابل المعجمي .

تعرفه زهرة الإوركيد في قولها: « التّقابل المعجميّ هو وجه من أوجه التّوازي الأثيرة لدى الشّعراء قديماً وحديثاً ، ويعود ذلك إلى فاعلية التّقابل في إنتاج الدّلالة من ناحية ، وفي تقسيم الكلام إلى وحدات متناظرة يسهل فهمها وترتيبها في الذهن من ناحية أخرى .»[1]

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن مصطلح التّقابل عند الأسلوبيين ، يتجاوز التّضاد و المقابلة المتعارف عليها عند البلاغيين ، فهو منهج يعمد إليه الشّاعر في تشكيل عناصر قصيدته ، على نحو واع أو غير واع . ومن التّقابلات الواردة رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ عبد القادر بكراوي ، الثنائيات التّالية :

الجدول رقم 05: الثّنائيات التّقابليّة في المرثيّة :

فارق الحياة	مقابل	غدا لدار الخلد
تزلزلت أطوادنا	مقابل	بحارنا
صار شاغرا	مقابل	لا يمكن البديل
قد علموا بالعلم	مقابل	من لا يعلم
لم يقتصر على توات	مقابل	بل عمّ أصقاعا
ما كنت قط في الفتاوى مسارعا	مقابل	بل كنت تبحث في الفتاوى فتسلم
ما كنت قط بالتّخريف مؤمنا	مقابل	أنت منه سالم
وكذا بالتّطرف	مقابل	(أنت منه سالم) مؤولة
بل كنت معتدلا	مقابل	و لست مداهنا
إن مِتْ	مقابل	لم تمت علومك في الورى
تجمّدتْ أفراحنا	مقابل	و الحزن فينا يرسم
فيه الفواكه	مقابل	و الطّيور ترنم

يلاحظ من خلال الجدول ، بأن التّقابلات الواردة ، تنوعت من صيغها و تراكيبها النّحويّة (الجمل الفعليّة / الاسميّة / وأشباه الجمل ، والتّقديم و التّأخير...)، والصّرفيّة (مع المتكلم والحاضر/ والغائب) ، وصورها البلاغيّة (النّفي / والإثبات / والحذف ...) توزعت على أبيات المرثية ، بحسب ضرورة الأنساق الخطاب الشّعريّ .

---

1 – دراسات في النّقد الأدبيّ الحديث ، زهرة الإوركيد ، ج04 ، أرشيف أدباء و شعراء و مطبوعات ، منتديات ستار تايمز ، http://www.startimes.com/?t=22241587 08/04/2018

لقد أحسن الشّيخ محمّد باي بلعالم في توظيفه للثّنائيّة ، إذ لا يجد المتلقي عنتاً في مسايرة تعابير القصيدة ، بل كان لتلك التّقابلات أثراً بليغاً في صياغة اللّغة الشّعريّة للمرثيّة ، وضبط إيقاعها الموسيقيّ الدّاخليّ و الخارجيّ على حد سوى ، فضلاً عن المعاني الجماليّة ، و الإيحاءات العميقة .

رابعاً – الانزياح في المستوى الدّلاليّ :

الانزياح : يعتبر الانزياح من الظّواهر الأسلوبيّة التي شدّت اِهتمام الأسلوبيين ، لتنوع أنماطه و أشكاله ، ولانعكاساته البليغة على دلالات ألفاظ و تراكيب النّصوص ، و تأثيراته على فُهُومِ المتلقّين على تنوع ثقافاتهم ، و تعدد مستوياتهم و اِختلافها .

و يعد الانزياح الدّلاليّ نقطة محورية تقصدها المستويات اللّغويّة ، إذ يرى " جون كوهين " :« أن الدّلالة ليست إلاّ مجموعة من التّأليفات المحققة لكلمة ما ، ويتحقق هذا النّوع من الانزياح عن طريق خَرْقِ القواعد المعنوية في اللّغة ، أو بعبارة أخرى خرق قواعد الصّورة الشّعريّة ».[1]

الحقول الدّلاليّة : إن الانزياح الدّلاليّ في مرثيّة الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ عبد القادر بكراوي ، يمكننا حصره في الحقول الدّلاليّة البارزة و المبيّنة في الجداول التّاليّة :

جداول الحقول الدّلاليّة البارزة :

الجدول رقم 06 : حقلا (الموت / الحياة) .

حقل الموت والفناء	فارق الحياة / القبور / بدفنه / الفنا / مظلم / غارتْ / غابَ/ الضّريح / تَمُتْ / مِتَّ / الفقيد / تجمّدت.
حقل الحياة و البقاء	الـحياة / دار الخلد / تـحيا / نـوّرت / لَـمْ تَمُتْ / تنعم / الجنان .

يلاحظ من خلال هذا الجدول الذي يرصد الألفاظ والعبارات الدّالة على معنى (**الموت**) ، أو معنى (**الحياة**) ، سعيّ الشّيخ محـمّد باي إلى توظيف العبارات والألفاظ ذات المعنى المباشر و الأصلي لأحدى الحقلين ، أو المعنى غير المباشر و الموحي للمعنى المقصود و الدّائر في فلكهما ، فمثلا : " **فارق الحياة** ، **الفنا** ، **مِتَّ** " لها دلالة مباشرة لمعنى الموت ، بينما الألفاظ :" **غاب** ، **مظلم** ، **تجمّدت** " لها معنى اِنزياحي لمعنى (**الموت والفناء**) ، وقِسْ على ذلك في حقل (**الحياة و البقاء**) وألفاظه ، ودلالاتها المباشرة و الانزياحيّة معاً .

[1] - الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة ،أحمد محمّد ويس المؤسسة الجامعيّة للدّراسات و النّشر و التّوزيع، بيروت، لبنان ، ط01، 2005 ، ص 111.

الجدول رقم 07 : حقلا (العلم/ الجهل) .

حقل العلم والمعرفة	الشّيخ / شيخ الزّمان/ بدر المعارف/ المدارس/الميادين /العلم/النّحو/ علمكم/علومكم / علومك / المعارف/ علم الشّريعة / ا الأصول / الفتاوى/الفصاحة / الثّقافة / المفاهيم/ الخطابة / ناطقا / نوابغ.
حقل الظّلام والجهل	لا يعلم / في الفتاوى مسارعا / التّخريف / التّطرف / الطّغاة .

يظهر للقارئ من هذا الجدول إكثار الشّيخ محمّد باي وإسهابه في توظيف ألفاظ الدّالة على العلم والمعرفة، ليبيّن مدى اِهتمام الشّيخ عبد القادر بكراوي بميدان العلم و نشره ، و تقليه من ألفاظ الضّد (**الجهل**) ليظهر للقارئ دور الشّيخ في محابته لتلك الآفة المقيتة وتثويقه لحدودها .

الجدول رقم08 : حقلا (الجوارح / الطّبيعة).

حقل الجوارح والحواس	العين / أذن / الصّدور / تدرك / تلقم .
حقل الطّبيعة والفضاء	أطوادنا / بحارنا / المعلم / أقطار /أصقاعا / بحر/ الغيث / فيضكم/ لونه / الفواكه/ الطّيور/ الضّرغم / سمائكم.

بعد القراءة لهذا الجدول ، يتجلى للقارئ حسن توظيف الشّيخ محمّد باي لمفردات حقلي (**الجوارح و الحواس / الطّبيعة و الفضاء**) ، إذْ استعان بالحواس كالعين و الأذن في إدراك العالم الخارج سواء كان عالماً ماديّاً محسوساً يحيط الفرد ، أو كان ،

الجدول رقم09 : حقلا (العقيدة / التّصوف).

حقول العقيدة والتّوحيد	الله / الإله / ربّ / ربه / مؤمنا .
العبادة والتّصوف*	السّلام / الثّناء/ الصّلاة على النّبيّ / هجرة المختار/ الرّجاء.

من خلال الجدول تظهر للقارئ عقيدة الشّيخين ، مؤلف المرثيّة الشّيخ محمّد باي بلعالم ، والشّيخ عبد القادر بكراويّ ، وهي العقيدة الإسلاميّة و التّوحيد السّماويّ ، كما يَظْهَرُ نشاطهما التّعبُديّ ، والمتمثّل في دوام العبادة لله تعالى بأسمائه الحسنى و صفاته العُلَى ، وارتباط القلب و سائر الجسد بالله تعالى خوفاً و رجاءً ، وحبّاً وثناءً.

* التّصوف : اعتزال الدّنيا و شهوتها والزّهد فيها ، والورع و الانقطاع للعبادة بالإكثار من الصّلاة و الأذكار و الأوراد.

الجدول رقم10: حقلا الخصال (الحميدة / الذّميمة).

حقل الخصال الحميدة	الصّراحة / الفصاحة /النّزاهة /المهابة/ الشّجاعة / معتدلا / تبحث/ تهدي / / تَنَوّرَتْ أقطار / الصّبر / الجود / الفضل / تكرم .
حقل الخصال الذّميمة	مداهنا / التّخريف / التّطرف / مسارعا / الطّغاة .

يضع الجدولّ بين يد القارئ العادي فضلاً عن القارئ الجادّ و المتأول جملة من الألفاظ المنتميّة لحقلي الخصال الحميدة و ضدّها ، كان حقل (**الخصال الحميدة**) بارزاً لكلّ ذي عين ، تقصّده الشّيخ محمّد باي بلعالم قصداً ، في رثائه للشّيخ عبد القادر بكراوي ، بغية تخليد أخلاقه ، و التي وُسِمَ بها في حياته ، من (**صراحة ، و فصاحة ، ونزاهة ، و مهابة ، و شجاعة ، واِعتدال ، و صبر و جود ، و فضل و كرم** ...) ، وهي خصال قَلّمَا تجتمعُ كُلُّها في الرّجال ، كما ينفي عنه الصّفات و (**الخصال الذّميمة**) كالمداهنة ، و التّطرف ، و التّخريف ، و التّسرع في استصدار الفتاوى و التّجرؤ على الأحكام الشّرعيّة الفقهيّة ، ومساندة الطغاة ، وهي كذلك صفات لا يتجنبه إلّا العالم التّقيّ النّقيّ الورع الوجل من عقاب الله تعالى ، ولا يقترفها إلا بائع لدينه بعرض من الدّنيا قليل ، أو منافق عليم النّفاق .

الجدول رقم11:حقلا (الحزن / الفرح).

حقل الحزن و الفزع	تزلزلت / الحزن / غاب / القبور / الفنا / نعزي / يعزيكم .
حقل الفرح و البشرى	دار الخلد / العريس / أفراحنا / ترنم / الثّواب / عفو / رحمة / الجنان/ مزخرفا / يرحم / يكرم / منعما.

إنّ القارئ للجدول يلفي الشّيخ محمّد باي بلعالم قَدْ أولى عناية كبيرة لمعاني (**الفرح و البشرى**) وذلك ما توحي به الألفاظ المنتمية لهذا الحقل كـ(**دار الخلد** ، **العريس** ، **أفراحنا** ، **ترنم**....) ، بالرُّغْمِ من تأثره العميق ، و تحسره على وفاة الشيخ عبد القادر بكراوي ، إذ جاءت ألفاظ حقل (**الحزن و الفزع**) قليلة جدّا ، كلفظة (**تزلزلت** ، **الحزن** ، **القبور** ، **الفنا**....) ، جاءت معدومة على أصابع اليدين ، موحية باقتصاد الشّيخ محمّد في حزنه ، و ضبطه لنفسه ، و تحليه بالصّبر ، والتّسليم بقضاء الله ، و ذلك من علامة الإيمان القويّ.

الجدول رقم12: حقل (الأهل / الأحباب).

الأهل والأقارب	الجدود / الأجداد/ خليفة/ الأحفاد/أسرة البكري .
الأحباب والمعجبون	صديقنا / تهدي الأنام / الأجيال / الأنام / صفّ المشايخ / نوابغ / قاصد / متيم * / شيخنا /جمعكم .

*مُتَيَّمٌ : اِستبدّ به الحبُّ وذَهَبَ بعقله.

من خلال مفردات الجدول نستشف معاني الموحيّة للأسرة و وصلات القرابة بين أفرادها (**جدود** ،**وآباء** ، **و أبناء** ، **و أحفاد** ، **و أصهار**....) ويعلق بتلك الصلات من روافد و روابط و علاقات (**الحبّ** ، **الصّداقة** ، **التّلمذة** ، **و إعجاب**) ، كلّ هذه المعاني و تمثلاتها الدّلاليّة سعى الشّيخ محمّد باي بلعالم تجليتها في سياقات متعددة احتوتها أبيات مرثيته في الشيخ عبد القادر بكراويّ .

بعد تأملنا في الجداول و المتعلقة بالحقول الدّلاليّة البارزة في المرثيّة ، من الجدول رقم 06 ، حتى الجدول رقم 12، نلاحظ التّنوع في الحقول المعجميّة الدّلاليّة:(الموت / الحياة / العلم / الطّبيعة / العقيدة ، الخوف ، الخصال ، الجوارح ، الفرح ، الحزن ، و أهل ومعجبين) ، وهذا أكسب النّصّ مفردات كثيرة ، تنوعتْ في دلالاتها و إيحاءاتها ، تُحيلُ بذهن المتلقيّ على مضامين كثيرة ، باعتماده على ظاهرة الانزياح الدّلاليّ مرفوقةَ بأشكال أخرى من الانزياحات ، و التي لامناص له منها ، أثناء تّحليله و تفسيره و تأويله لمعاني المرثيّة .

المبحث الثّالث : نقد المرثيّة وتقويمها :

من خلال القراءة الفاحصة للمرثيّة الشّيخ محمّد ياي بلعالم في الشيخ عبد القادر بكراويّ ، يظهر للقارئ و هو يقرأ أبياتها ما يثير اِنتباهه ، شكلاً و مضموماً ، فمن حيث الشّكل الخارجيّ بداية من العنوان انتهاء بآخر بيت في القصيدة ما يلي :

- العنوان الطّويل " **الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمّة الله و هذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم** " الخالي من النّسق الشّعري ، بسبب محاكاته لبعض العناوين التّقليديّة القديمة.
- اضطراب وزن المرثية ، إذ بيد أنّها تميل إلى بحر البسيط ، مما يوحي باضطراب النّفسية و تبلبل مشاعره ، و شدة تأثره بموت الشيخ عبد القادر بكراوي ، لكنّ بعد التّحريّ يستقرّ الذّهن على البحر المتكامل.
- تعدد ظاهرة التّكرار على مستوى الحروف و الكلمات والعبارات وبعض الجمل ظاهرة بارزة ، مما أكسب مسحة فنيّة نغميّة جماليّة ، أثرت بشكل لافت على مستوى الإيقاعين الدّاخليّ و الخارجيّ .
- تنوع الشّيخ في الحقول الدّلاليّة (كحقل الموت ، الحياة ، العلم و المعارف ، الطبيعة ، الجوارح ، التّوحيد العبادة و التّصوف ، الخصال الحميدة ، الخصال الذّميمة ، الحزن ، الفرح ، الأهل) منح المرثيّة غزارة في المعاني و أثر المضمون ، وفتح الباب على مصرعيه للقراءات التأويليّة المختلفة .كما دلالة على قدرة الشّيخ محمّد باي بلعالم الفائقة على تمكنه من ناصية اللغة ، و غزارة قاموسه المعجمي.
- استطاع الشّيخ محمّد باي بلعالم من خلال بسطه لأبيات المرثيّة التّعبير و بصدق عما يعتلج في صدره من أسى و حزن و أسف و شجن على فراق صديقه العزيز عبد القادر بكراوي.
- كان للظّواهر الأسلوبيّة البارزة : التّكرار و التّقابل و التّشاكل و الانزياح حضوراً لافتاً ، وظّفها الشّيخ محمّد باي بلعالم في خطاباته الشّعريّة العزائيّة ، لأسباب و أغراض متباينة : نفسيّة واجتماعيّة ، ودينـيّة ، و نحويّة ، و صرفيّة ، و أسلوبيّة ...
- التزام الشّيخ محمّد باي بلعالم بمبادئ دينه ، وعقيدته الإسلاميّة السّمحة ، و تأدبه بآدب الشّرع الحنيف ، تسليمه لقضاء الله و قدره ، وبعده عن عادات الجاهليّة في الفواجع و المواجع و التّعازي والمآتم .
- خلول المرثيّة من الضّبط بالشّكل مما يجعلها متعددة القراءة ، و من ذلك التّعدد في التّفسير و التّأويل.
- تعد المرثيّة واحدة من المرثيّات السّبعة ، والتّي استطاعت أن تنقل مضامين كثيرة، ورسائل عدة ، لا حصر لها :كرسالة الأخوة ، و الصّداقة ، و المحبّة ، و الاعتراف بالعلم و الجميل و الجود و الفضل ، و المدح ، والتّذكير بالمصير المحتوم (الموت) ، البقاء و الدّوام لله ، التّواصي على الحق ، و الالتزام بالنّهج الصّحيح ، السّير على خطى الأجداد ....

الخاتمة

الخاتمة

ونافلة القول ، وبعد بسط هذه الصّفحات المعدودات ، والتي حاولت من خلاله تقدّم شيء ذا بال حول مرثيات الشّيخ محمّد باي بلعالم ، يمكن استخلاص النّقاط التّالية :

1- الرّثاء فن قديم في التّراث العربيّ ، عُرف منذ العصر الجاهليّ ، حتى العصر الحديث والمعاصر، وانقسامه إلى تأبين و عزاء و تأبين ، مع تشارك في المعاني و الأغراض ، رغم الاختلاف الوارد في المفاهيم.

2- تنوع نصوص المراثيّ ، من حيث الشّكل : بين الشّعر العموديّ و الشّعر التّفعيلة، وكذلك من حيث المضمون :كرثاء النّفس ، و الأهل و الأصدقاء ، الزّعماء و المشايخ و العلماء ، و الموطن ، و المتاع .

3- أستطاع الشّيخ محمّد باي بلعالم أن يخلّف لنا أرثاً لا يُسْتَهان به ، تنوعت مجالاته ، و تفرعت إمداداته ، و توسعت فضائله ، و تشعبت أفكاره ، و تعددت مشاربه .

4- الشّيخ محمّد باي بلعالم من أهم المساهمين الفاعلين في فنّ الرّثاء في أدبنا الجزائريّ الحديث و المعاصر، خصوصاً في منطقة الجنوب ، بفضل ما خلفه من مراثي.

5- تمثل مراثي الشّيخ محمّد باي بلعالم صورة من المنجزات الأدبيّة و الثّقافيّة والفكريّة و المتميزة بأساليبها ، لذا هي جديرة بالتّحقيق والبحث والدّراسة .

توصيّات :

- يُعتبرُ الشّيخُ محمّد باي بلعالم قامةً عاليّة ، وأسطوناً فذّناً من أساطين العلم في الجزائر، شُهد له في المشرق و المغرب ، وهو جدير بالبحث والاهتمام لمعرفة المزيد عنه، وإخراج كنوزه و نفائس للاستزادة و الاستفادة.
- فقر المكتبة العربيّة من الدّراسات حول أعمال الرّجل ، وما ألف عنه ، لا يتعدى رسالتين للماجستير ، واحدة في تخصص التّاريخ ، و الأخرى في تخصص اللغويّات ، وبعض الملتقيات والنّدوات المحتشمة، وهذا ما يستدعي الحرص والعناية بآثاره القيمة ودراستها، باعتبارها مادة دسمة تشفي غليل الباحثين و الدّارسين .
- ما عُـرض من معلومات و أفكار لا يُعدي نهاية البحث ، بل بدايته ، وهو لبنة مضافة ، أرجو أن تعقبه لبنات في إطار البحث الجاد لتحافظ على أسور علوم الشّيخ محمّد باي بلعالم ، وصيانتها من الضّياع .

وفي الختام أسأل الله لي و لقارئ هذا العمل ، أن تصيبنا قبسات من علم الشّيخ محمّد باي بلعالم ، و أنّ يُثبنا على هذا الجهد و يكتب فيه الإخلاص و القبول ، و يغفر لي التّقصير ، إليه القصد و عليه التّكلان ، وصلّ اللّهم و بارك على سيّدنا محمّد و على آله و صحبه و سلّم تسليماً كثيراً.

ملاحق

الملحق رقم : 01

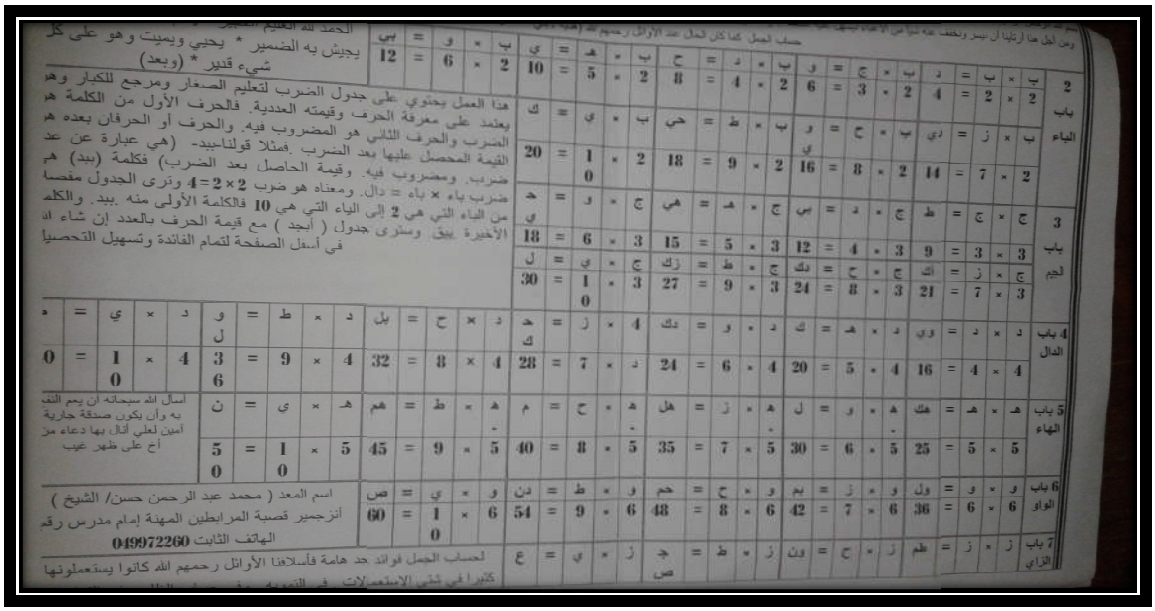

الصّفحة الأولى من حمّارة الحساب [1]

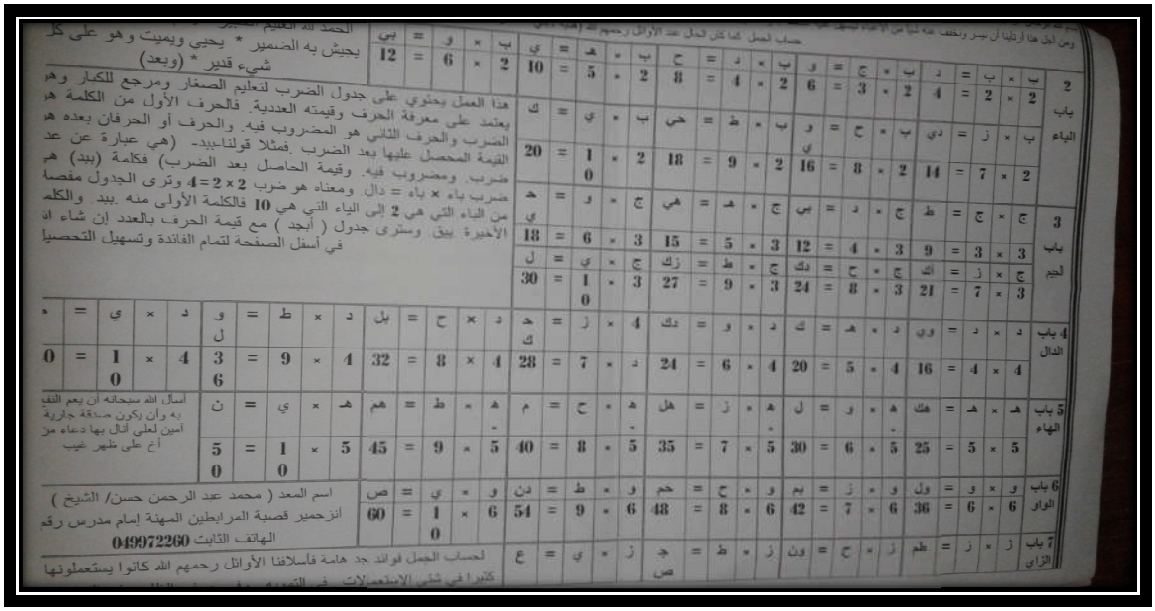

نسخة للصّفحة الثّانيّة حمّارة الحساب[2]

1 – حمّارة الحساب ، إعداد محمّد عبد الرّحمان حسن ، خزانة المدرسة البلبالّيّة بمملوكة ، بلديّة تيمي ، ولايّة أدرار ، ص01.

2– المرجع نفسه ، ص 02.

الملحق رقم :02.

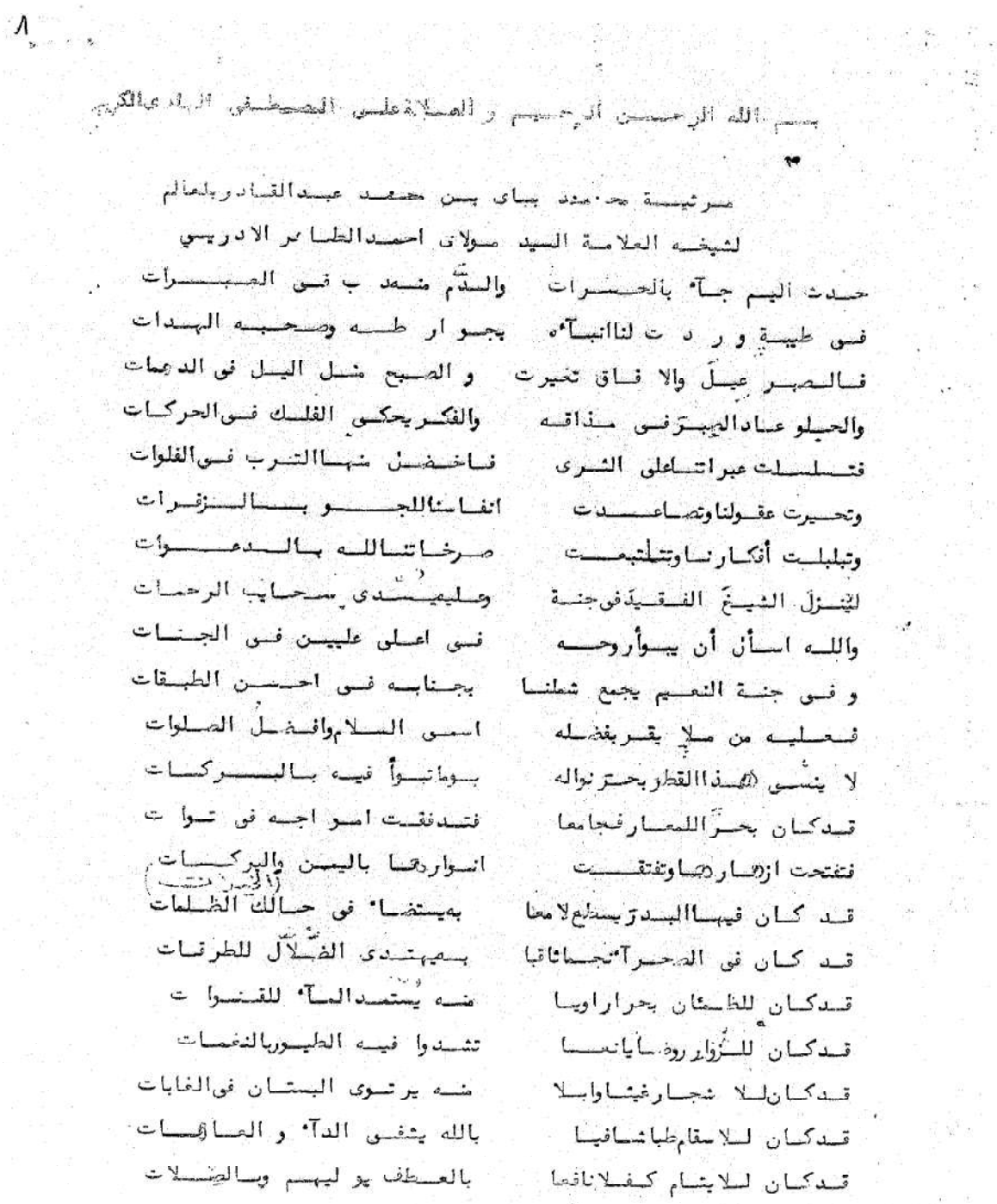

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة على المصطفى الهادي الكريم

مرثية محمد باي بن محمد عبد القادر بلعالم

لشيخه العلامة السيد مولاي احمد الطاهر الادريسي

حدث اليم جآ بالحسرات ... والسّقم منه ب في الصبرات

في طيبة و ر د ت لنا انباؤه ... بجوار طه وصحبه الهدات

فالصبر عيلَ والا فاق تغيرت ... و الصبح مثل الليل في الدهمات

والحيلو عاد المرء في مذاقه ... والفكر يحكي الفلك في الحركات

فتسلسلت عبراتنا على الثرى ... فاخضل منها الترب في الفلوات

وتحيرت عقولنا وتصاعدت ... انفاسنا للجو بالزفرات

وتبلبلت أفكارنا وتلتبعت ... صرخاتنا لله بالدعوات

لينزل الشيخَ الفقيدَ في جنة ... وعليه سّدي سحاب الرحمات

والله اسأل أن يبوأ روحه ... في اعلى عليين في الجنات

و في جنة النعيم يجمع شملنا ... بجنابه في احسن الطبقات

فعليه من ملإ يقر بفضله ... اسمى السلام وافضل الصلوات

لا ينسى هذا القطر بحر نواله ... بوماتبوأ فيه بالبركات

قد كان بحرَ اللمعارف جامعا ... فتدفقت امواجه في تواتٍ

فتفتحت ازهارها وتفتقت ... انوارها باليمن والبركات

قد كان فيها البدر يسطع لامعا ... بهيتضاءٍ في حالك الظلمات

قد كان في الصحرآ نجما ثاقبا ... بهيهتدي الضّلآل للطرقات

قد كان للظمئان بحرا راويا ... منه يستمد الآ للقنوا ت

قد كان للزوار روضا يانعا ... تشدوا فيه الطيور بالنغمات

قد كان لا شجارغيثا وابلا ... منه يرتوي البستان في الغابات

قد كان للاسقام طبا شافيا ... بالله يشفي الدآ و العاهات

قد كان للايتام كفلا نافعا ... بالعطف يوليهم وبالصلات

المرثيّة الأولى في الشّيخ مولاي أحمد الطّاهر الإدريسيّ [1]

[1]- مرثيّة محمّد باي بن محمّد عبد القادر بلعالم لشيخه العلّامة السّيد مولاي أحمد الطّاهر الإدريّسيّ ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير – الرّكينة ، بلدية أولف ، ولاية أدرار .

الملحق رقم :03.

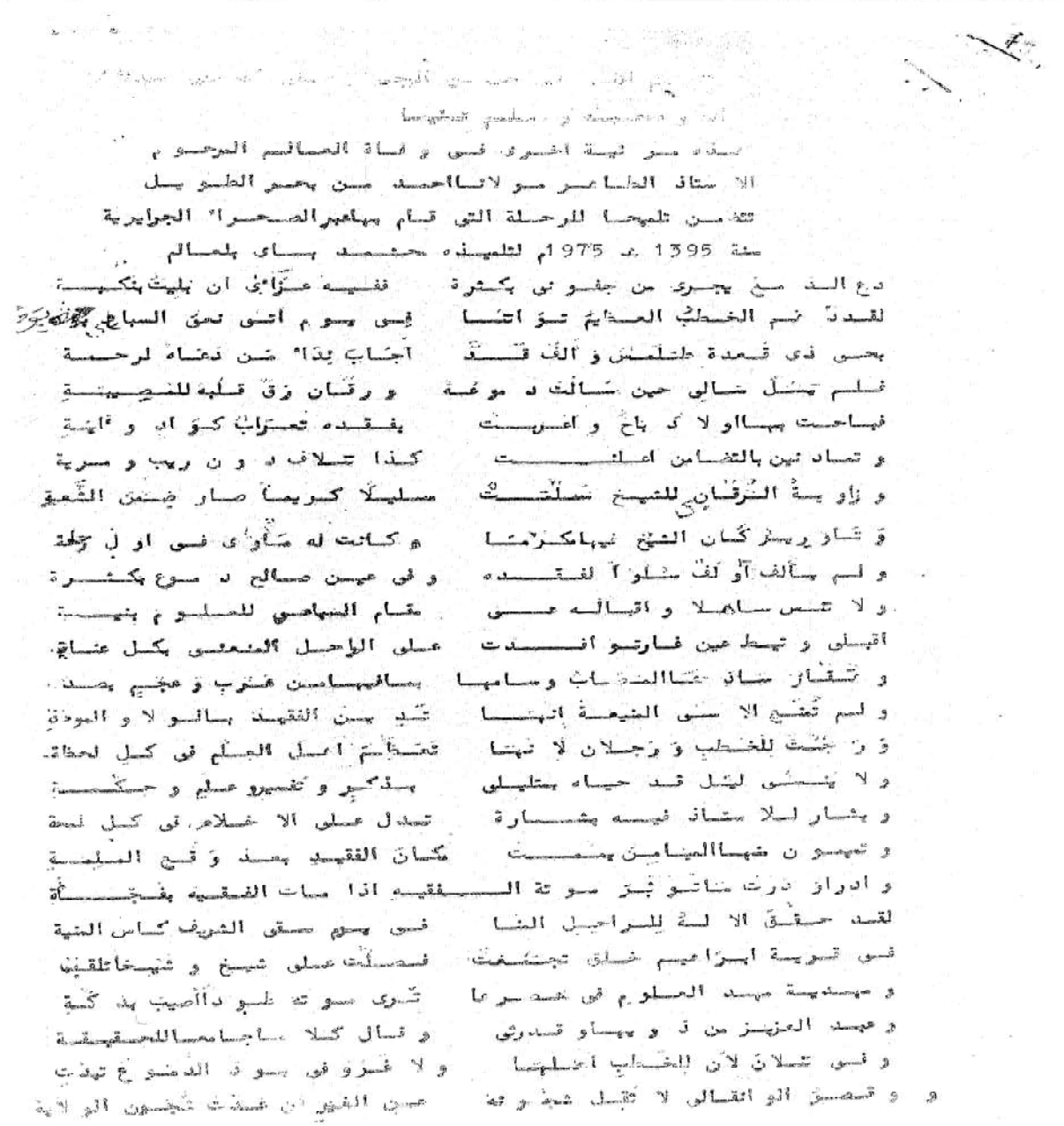

المرثيّة الثّانيّة في الشّيخ مولاي أحمد الطّاهر الإدريسيّ .[1]

1 – هذه مرثية أخرى في وفاة العالم المرحوم الأستاذ الطّاهر مولانا أحمد من بحر الطّويل تتضمن تلميحاً للرّحلة التّي قام بها عبر الصّحراء الجزائريّة سنة 1395 هـ 1975 م لتلميذه محمّد باي بن محمّد بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولا ية أدرار .

الملحق رقم :04.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ محمد بن الكبير في ذمة الله

مرثية من محمد باي بلعالم

بكينا عليك يا شيخ الأنام ... وحق لك البكاء ألف عام

ملائكة الإله تقول بشرى ... لشيخ كان غوثا للأنام

لشيخ كرس الحياة دوما ... لخدمة دين ربنا السلام

فمن بحوره انفجرت عيون ... فعم سقاؤها كل الأكام

ومن أنواره انبثق الضياء ... فزال بنوره حلك الظلام

ومن أفكاره انطلقت فهوم ... بها تشفى البرية من سقام

ومن سخائه فاض العطاء ... به انتشل الفقير من الآلام

ومن علومه انتشرت علوم ... فكم للعلم عنه من زحام

وكم من مسجد في الشعب أدى ... شهادته لشيخنا الهمام

كذلك المدارس في الجنوب ... وفي شرق الجزائر بالتمام

وفي غرب البلاد وفي الشمال ... تفيض بعلمه بلا كلام

بموتك يا إمام العصر غابت ... شموس شعبنا عن الأنام

وأعلى منارة سقطت فأدت ... إلى حزن ودمع مع آلام

فأدرار بكت دما عليكم ... وكان الدمع يجري بانسجام

فليس لها سوى صبر جميل ... يعد لذا المصاب يا إمام

تعزى كل فرد في توات ... في فقد الشيخ من دان وسامي

نودع فيك يا شيخ الأنام ... سلامنا إلى يوم القيام

سلام عليك يوم زدت طفلا ... ويوم صرت شيخا للكرام

ويوم أخذت علمك من مرب ... عنيت بذا ابن ديدي في نظام

ويوم علوت منبر العلوم ... فنلت الفوز في أعلى مقام

ويوم ناداك رب للجوار ... فلبيت النداء باحترام

وذلك يوم "يو" من جمادى ... في رمز قد شاكت في وسط عام

فمن باي سلام مع تحايا ... على المرحوم شيخنا الإمام

ونحمد ربنا ونصلي أيضا ... على المختار سيد الأنام

مرثيّة في الشّيخ محمّد بلكبير [1]

1- الشّيخ محمّد بن الكبير في ذمّة الله مرثيّة من محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولاية أدرار.

الملحق رقم :05.

بســـــم الله الرحـــــــــــمان الرحيم

الشيخ السيد الحاج عبد العزيز سيداعمر في ذمة الله
مرثية محـــــــــمد باي بلعالم

أيا شيخـــنا عبد العـزيز فارقتنا ... وكنت لنا طودا وحصنا محصـــنـــا
جرى دمعنا دما لفقدك سايـلا ... وما ينفع البكـا لفقد حبيبـــنـــا
نعـــزي تـواتا والجـزائر كلهـا ... في موتك يا عبد العزيز إمـامنـــا
بموتك صار الحلو مرا وقد دهى ... لشمس الضحى ماكان لليل من عنـا
لقد كنت شمسا في سماء تواتـنا ... وبـدرا يلوح بالضـــياء وبالسنـــا
وكنت لفعل الخير حاتم عصـــرنا ... وكنت لنشـــر العلم جسرا وموطنا
وكنت لعنصر الشباب موجـــها ... وللكهل والشيوخ كنت مبينـــا
وللفقـــراء كـــنت عونا ونافعـــا ... كما كـــنت للأيتـــام أبا ومسكـــنـــا
وكنت لأل البيت طبعـــا معظمـــا ... وكـــنت لأهـــل العلم جـزءا تمكـنا
فجمعك للأعلام جمع موفـــــق ... وفي الزهرات بان ماكـان كامـــنا
وفي الفقه والآداب خلفت ثـروة ... وفي سيرة المختار جمعك يعتني
جمعت العلـــوم فـي تناليف عدة ... ستبقى مدى الاحقاب كنزا ومقتـنا
ويبقى لك الـذكر الجميل مخـلدا ... وتحظى من الأنام بالمدح والثنـــاء
كأنك حي الا جسمـــك غـائـب ... وصيتك ماذاق الممـات ولاالفـنـــا
في حاء ربيع الثاني لب لربـــه ... وفي عام طكتشن توفى امامنـــا
ونحن في يوم العلم نفقد عالما ... وفي الروضة الخضراء رحمة ربـنـا
فكوني لـــه يارحمـة الله منزلا ... وكوني له ياجنة الخلد مسكـنـا
فنسال ربي أن يسكـــن شيخنا ... في جنـــة عـــدن بالنعيم وبالمـنا
وبارك رب في الـــبنـــين بعيده ... وفـــي كل عاخـد عليه ومن دنـا
ورحماك رب الشيوخ شيـــوخه ... وجـــازهم بالخـيررب وبالحسـنا
ويرثيك بـاى مظهـرلك حـــزنه ... ويرجواللقـــا في الظل يوم ميعـادنا
ولله الحمـــد والصلاة ويتلـــوها ... ســـلام على خـــير الأنـام نبينـا
وءاله والأصحاب ماقال قـائـــل ... أيا شيخـــنا عبد العزيز فـــارقتـنا

مرثيّة في الشّيخ سيدا عمر عبد العزيز [1]

1 – الشّيخ السّيد الحاج عبد العزيز سيدا عمر في ذمّة الله مرثيّة من محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولاية أدرار.

الملحق رقم :06.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم

مرثية الشيخ محمد باي بلعالم

الشيخ سيدي محمد الرقاني في ذمة الله

مات الفقيه ومات الجود والكرم ... وسال من عيننا دمع وفاض دم

محمد وهو للرقاني قد نسبا ... وبالفقيه النبيه وصفه يعلم

شيخ عظيم له الأخلاق قد جمعت ... والخلق من فقده أصابها سقم

بكت عليه توات كلها أسفا ... والأرض ضاقت وبالأحزان تتسم

لما أتى نعيه لمكة غمرت ... حجاجنا لوعة هزت بها القمم

بحر الشجاعة والإحسان قد نضبا ... وشل من شعبنا اليدان والقدم

قد كان درعا وطودا شامخا ثابتا ... في كل مجتمع تسمو فيه الهمم

إن الرقاني شيخ فكره ثاقب ... وعلمه نافع تهدى به أمم

قد غاب عنا وغاب الصبر في جدث ... ضم الحبيب فحل الحزن والبكم

وعمت الحيرة الأرجاء قاطبة ... وغاب عن سمعنا سمع وفض فم

كان الخليفة للشيخ الجليل كما ... في شرحه النفحات وانتقى القلم

وللزوايا اعتماد تستعين به ... وفي المدارس بدر حوله أنجم

وفي المساجد مرشد وداعية ... معلم مصلح تعلو به الهمم

وكان للنائبات الدعم يعتمد ... وللمشاكل كان الحل ينسجم

فيه خصال من الإحسان قد جمعت ... وفرقت في سواه فهي تنقسم

وورث المجد من أجداده الشرفا ... وورث العلم من شيخ له عالم

فقد جرى مرج البحرين في أرضه ... بحر الجدود وبحر الشيخ يلتطم

ومن خلالهما فاضت مواهبه ... وجادت أمواجه بالدر منتظم

1

مرثيّة في الشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه[1]

1-مرثيّة الشّيخ محمّد باي بلعالم الشّيخ سيدي محمّد الرّقانيّ في ذمّة الله ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولا ية أدرار.

الملحق رقم :07.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم

الشيخ السيد الحاج محمد الزاوي في ذمة الله

وهذه مرثية من طرف العبد الفقير محمـــد باي بلعالم

مصيبة نزلت أنستنا ما ســـبقـــا ... والقلب من وقعها قد ذاب واحترقـــا

دهى الجنوب مصاب مظلم جلـــل ... كل المناطق بالأحزان قـــد طرقـــــا

وقد دهى عين صالح قذى مؤلـــم ... كأنما بصـــر البـــلاد قـــد بـــرقـــا

وقد عرى قمر الزمان خسف بـــدا ... والشمس قد كسفت ونورها فـــرقـــا

محمد الزاوي مات والخصال التي ... تجري عليه ستبقى ما الزمان بقـــا

يفنى الزمان ولا تفنى محاســـنـــه ... سترتقي معه في الخلد حيث ارتقـــا

قد كنت نورا يضئ في مناطقنا ... وكنت للحق دوما قائـــلا ناطـــقـــا

مساجد القطر قد أسست معهدها ... مدارس الذكر قد نسقتها نســـقـــا

مأوى الضيوف تجلى في دياركـــم ... بالخير والجود والإحسان قد أشرقـــا

من الشمال إلى الجنوب خيركـــم ... قد عم مغربنا وعم من شـــرقـــا

من الهقار إلى الشمال جســـركم ... إلى المعارف والتكوين قد سبـــقـــا

أهدافكم قـــد أتت طبعا لأمتنـــا ... بكل فضل ووعد الشيخ قد صـــدقـــا

أخلاقكم شابهت أخلاق جـــدكـــم ... خليفة المصطفى أول من صدَّقـــا

فنم في قبرك كالعريس متكئـــا ... ترى مكانك في الفردوس قد حققـــا

ترى الفواكه والأشجار مثمـــرة ... والطيب والمسك في الجنان قد عبقا

ترى الجواري وحور العين جاهزة ... ثم النعيم على المرحوم قد طوقـــا

فبارك الله في الأولاد كلهـــــم ... وكل من كان للمرحوم قد رافـــقـــا

في عام طكتش باء رجب ختمت ... أنفاس أستاذنا والموت قد فـــرَّقا

فرحمة الله بالآلاف تعـــــدادهـــا ... عليك يا شيخنا ما البدر قد أشرقـــا

باي يعزي وعزت فيك أمتـــنـــا ... والصبر أجمل للمصاب إن طـــرقـــا

بالحمد نختم والصلاة تتبـــعـــه ... على الرسول الذي بالصدق قد نطقا

والآل والصحب ما قد قال قائلنا ... مصيبة نزلت أنستنا ما سبـــقـــا

مرثيّة في الشّيخ محمد الزّاوي [1]

1-الشّيخ السّيد الحاج محمّد الزّاوي في ذمّة الله و هذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الركينة ، بلدية أولف ، ولاية أدرار.

الملحق رقم : 08.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ والصلاة والسلام على النبي الكريم

الشيخ السيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمة الله

وهذه مرثية من طرف العبد الفقير محمد باي بلعالم

فارق الحياة صديقنا المكرم ... وغدا لدار الخلد فيها يكرم
بدر المعارف قد تغير لونه ... لموت هذا الشيخ فهو مظلم
وتزلزلت أطوادنا وبحارنا ... غارت وغاب المعلَمُ
وتشرفت به القبور وتُوِّرَتْ ... وبدفنه تحيا القبور وتَنْعَمُ
فعليك يا عبداً يضاف لقادر ... أسمى السلام بالثناء يُدَعَّمُ
صف المشايخ منك صار شاغرا ... لا يمكن البديل عنه يتمّمُ
قد كنت يا شيخ الزمان منارة ... تهدي الأنام بعلمكم وتكرم
قد كنت للأجداد خير خليفة ... تحيا الجدود بفضلكم وتُرحم
وتركت للأحفاد مجدا رائعا ... تسمو به أحفادكم وتغنم
وتنورت أقطار رب بعلمكم ... فالغيث من سمائكم معمم
وتخرجت من فيضكم نوابغ ... قد علموا بالعلم من لا يعلم
لم يقتصر على توات علمكم ... بل عم أصقاعا ومنه تعلموا
قد كنت في علم الشريعة بارعا ... في النحو والأصول أنت مقدم
ما كنت قط في الفتاوى مسارعا ... بل كنت تبحث في الفتاوى فتسلم
في الجود بحر ليس يدرك قعره ... لكل قاصد لكم ومتيم
ما كنت قط بالتخرف مؤمنا ... وكذا التطرف أنت منه سالم
بل كنت معتدلا ولست مداهنا ... بل كنت في الميدان أنت الضرغم
قلك الصراحة ديدنا وطبيعة ... ما كنت قط للطغاة تدعم
لك في المعارف صولة ودراية ... ولك الشجاعة في الميادين معلم
ولك الفصاحة في الخطاب تجتلى ... ولك الثقافة في المفاهم سلم
ولك النزاهة شيمة وعناية ... لا ترتجي غير الإله يرحم
وإذا جلست في المدارس ناطقا ... عليك المهابة إن جلست تعمم
إن مت لم تمت علومك في الورى ... فالعلم لم يمت وليس يعدم
تحمي الصدور علومكم من الفنا ... ويبث للأجيال ليس يكتم
في يوم كب من جمادى تجمدت ... أفراحنا والحزن فينا يرسم
من هجرة المختار عام طَكتَشِ ... والله للفقيد يعفو ويرحم
يا شيخنا البكراوي نم منعما ... مثل العريس في الضريح تنعم
ترى مكانك في الجنان مزخرفا ... فيه الفواكه والطيور ترنم
فيه ما ليس العين تدرك كنهه ... كلا ولا أذن لسره تلقم
يا أسرة البكري نعزي جمعكم ... والصبر أجمل والثواب يعظم
باي يعزكم ويرجو ربه ... عفوا ورحمة بذا يكرم
ثم الصلاة على النبي وآله ... بالحمد للإله نظمي يختم

مرثيّة في الشّيخ عبد القادر بكراويّ [1]

1-الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراوي في ذمّة الله و هذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولاية أدرار.

الملحق رقم :09.

مجموعة من الصّور للشّيخ محمّد باي بلعالم [1]

1- صوّر الشّيخ محمّد باي بلعالم :

https://www.google.com/search?

يوم :2018/05/01، السّاعة 20:30

الملحق رقم :10 .

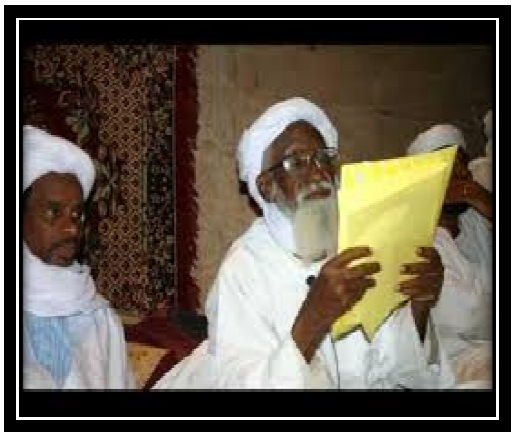

صوّر لبعض أنشطة الشّيخ محمّد باي بلعالم (1930م– 2009م)[1]

1– صوّر الشّيخ محمّد باي بلعالم ، المرجع السّابق ، الصّفحة نفسها .

الملحق رقم :11.

صوّر لبعض النّدوات المحليّة و الملتقيات الوطنيّة المهتمّة بمنجزات وآثار الشّيخ محمّد باي بلعالم [1]

1- صوّر الشّيخ محمّد باي بلعالم ، المصدر السّابق، الصّفحة نفسها .

الملحق رقم :12.

صوّر للشّيخ مولاي أحمد الطّاهر الإدريسيّ السّباعيّ (1907م–1979 م) [1]

1–صوّر مولاي أحمد الطّاهر السّباعيّ: https://www.google.com/search?

2018/05/02 السّاعة 10:00ص

الملحق رقم :13 .

بعض صوّر الشّيخ محمّد بلكبير (1009 م– 2000 م) [1]

1-صور الشّيخ محمّد بلكبير : https://www.google.com/search?

2018/05/02 السّاعة 20:00

الملحق رقم :14.

صورة للشّيخ عبد العزيز سيد اعمر (1930م / 2008م)[1]

[1] – الشّيخ سيدي محمّد عبد العزيز سيد أعمر حياته و آثاره ، عبد المالك شريفي ، محمّد سيد اعمر ، الطّاهر زيغمي ، المعهد الإسلاميّ لتكوين الإطارات الدّينيّة – غليزان ، مذكرة تخرج لنيل شهادة إمام مدرس ، دفعة رجب 1431هـ / جوان2010م ، ص 41.

الملحق رقم :15.

بعض مؤلفات الشّيخ عبد العزيز سيد اعمر[1]

[1] – الشّيخ سيدي محمّد عبد العزيز سيد أعمر حياته و آثاره، المرجع السّابق، ص 47.

الملحق رقم :16.

بعض صوّر الشّيخ محمّد الزّاويّ (1940م– 2009 م) [1]

[1]– صور الطّالب محمّد الزّاويّ : https://www.google.com/search?source

2018/05/02 الساعة 10:00ص.

الملحق رقم :17.

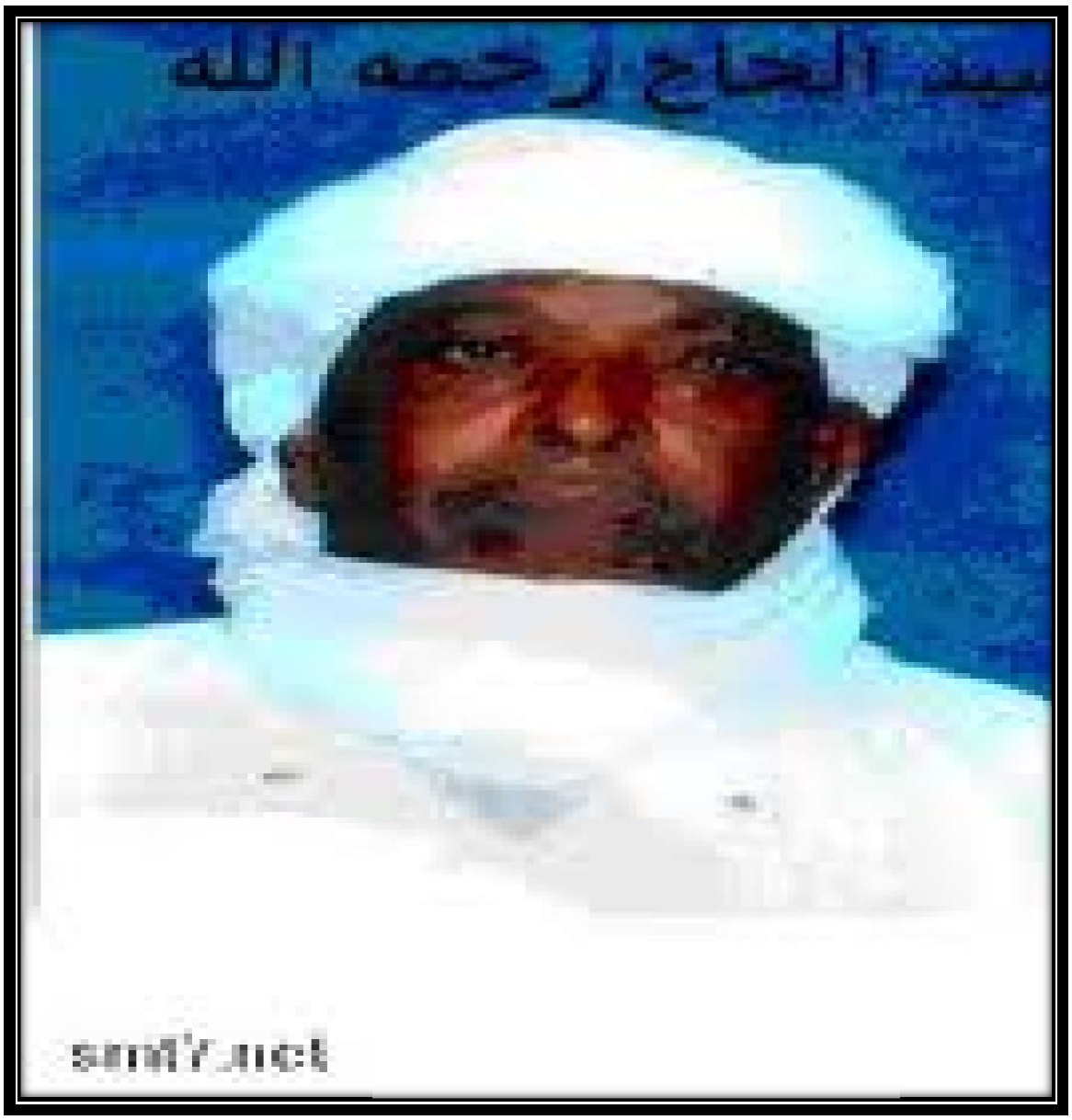

الشّيخ عبد القادر بكراويّ (1931م – 2008م) [1]

1- ترجمة الشّيخ سيدي الحاج عبد القادر بن سيدي الحاج أحمد (ديدي) البكراويّ نومناس (1931-2008م) ، عبد المجيد طيّبيّ ، المركز الثّقافيّ الإسلاميّ ، بولايّة أدرار.

قَـائِمَةُ الْمَصَادِرِ

وَالْـمَرَاجِعِ

قَائِمَةُ الْمصادرِ و المَرَاجِعِ :

أ-الكتب :

1- أدوات النّصّ: دراسة ، محمّد تحريشي ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2000 .

2- أروع ما قيل في الرّثاء ، إميل ناصيف ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط 02.

3- أسرار النّصّ دراسات في الشّعر العربي المعاصر ، وداد بن عافية ، دار الهدى للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، ط01 ، السّداسيّ الأول ،2017م .

4- الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة ، أحمد محمّد ويس المؤسسة الجامعيّة للدّراسات و النّشر و التّوزيع، بيروت ، لبنان ، ط01 ، 2005.

5- تحليل الخطاب الشّعريّ (إستراتجية التّناص) ، محمّد مفتاح ، المركز الثّقافيّ العربيّ ، المغرب ، ط01 ، 2005.

6- جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة و الإسلام ، أبو زيد محمّد بن أبي الخطّاب القرشيّ ،تحقيق عليّ محمّد البجاويّ ، نهضة مصر.

7- جوهر الكنز "تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة " ، نجم الدّين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبيّ ، تحقيق محمّد زغلول سَلام ، النّاشر منشأة المعارف بالإسكندريّة ، الإسكندريّة – مصر ، 2009 م .

8- دليل النّاقد الأدبيّ ، ميجان الرّويلي ، سعد البازعيّ ، المركز الثّقافيّ ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط02، 2002 م.

9- ديوان الخنساء ، اعتنى به و شرحه حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط 02 ، 1425هـ/2004 م.

10- ديوان حسّان بن ثابت ، شرحه وكتب هوامشه وقدّم له ، عبد أ علي مهنا ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ،ط 02 ، 1414هـ / 1994 م .

11- الرّثاء ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط01 ، 1987.

12- الرّحلة العليّة إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات و العادات و ما يربط توات من الجهات ، الشّيخ محمّد باي بلعالم ، المعرفة الدّوليّة للنّشر و التّوزيع ، الجزائر ، 2015 م.

13- صحيح البخاريّ ، أبو عبد الله محمّد إسماعيل البخاريّ ، مراجعة محمّد علي القطّب ، المكتبة العصريّة ، صيدا –بيروت ، المجلد 01 ، 1433هـ/2012م.

14- طبقات الشّعراء ، محمّد بن سلّام الجمحيّ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، 1422هـ - 2001م .

15- العمدة في صناعة الشّعر و نقده ، أبوعليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ ، تحقيق النّبويّ عبد الواحد شعلان ، الطّباعة الدّوليّة للنّشر ، ط01 ، 1422هـ / 2000 م .
16- العنوان في الثّقافة العربيّة التّشكيل و مسائك التّأويل ، محمّد بازي ، منشورات الاختلاف ، الدّار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، ط 01 ، 1433هـ / 2012م .
17- فحولة الشّعراء ، أبو سعيد الأصمعيّ ، تحقيق عبد المنعم خفّاجيّ ، دار القلم للتّراث ، القاهرة – مصر.
18- القاموس المحيط ، مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التّراث في مؤسسة الرّسالة ، مؤسسة الرّسالة ، بيروت – لبنان ، ط08 ، 1426هـ / 2005 م .
19- لسان العرب ، أبو الفضل محمّد بن منظور ، دار صادر – بيروت ، ط 01 ، 1300 هـ .
20- اللّسانيات الأسلوبيّة ، عبد الجليل مرتاض ، دار هومه ، للطّباعة و النّشر و التّوزيع – الجزائر، 2013 .
21- محاضرات في الأسلوبيّة ، محمّد بن يحي ، مطبعة مزوار ، الوادي ، الجزائر ، ط01 ، 2014م .
22- المصطلح النّقديّ في التّراث الأدبيّ العربيّ ، محمّد عزّام ، دار الشّرق العربيّ ، بيروت – لبنان .
23- معجم المقاييس في اللّغة ، أبي الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق شهاب الدّين أبو عمرو ، دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، بيروت – لبنان ، ط 01 ، 1432- 1433 هـ / 2011 م.
24- معجم مصطلحات النّقد العربي القديم ، أحمد مطلوب ، مكتبة ناشرون ، بيروت – لبنان، ط01 ، 2001م .
25- المغامرة الجماليّة للنّصّ الشّعريّ ، محمّد صابر عبيد ، عالم الكتاب الجديد ، أربد – الأردن ، ط 01 ، 1428هـ / 2008م .
26- منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجنيّ ، تقديم محمّد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلاميّ ، بيروت – لبنان ، ط 03 .
27- النّبذة في تاريخ توات و أعلامها ، عبد الحميد بكري ، الطّباعة العصريّة ، برج الكيفان- الجزائر ، جانفي 2010.
28- النّصّ المفتوح في الشّعر الجزائريّ المعاصر ، عيساني بلقاسم ، موفم للنّشر - الجزائر ، 2013 م.
29- نقد الشّعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، ط01، 1302هـ .

ب–المخطوطات :

1- حمّارة الحساب ، إعداد محمّد عبد الرحمن حسن ، خزانة المدرسة البلباليّة بمملوكة ، بلديّة تمي ، ولايّة أدرار .
2- الشّيخ السّيد الحاج عبد العزيز سيدا عمر في ذمّة الله مرثيّة من محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولايّة أدرار.

3- الشّيخ السّيد الحاج عبد القادر بكراويّ في ذمّة الله و هذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولايّة أدرار.
4- الشّيخ السّيد الحاج محمّد الزّاوي في ذمّة الله و هذه مرثيّة من طرف العبد الفقير محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الركينة ، بلدية أولف ، ولاية أدرار.
5- الشّيخ سيدي محمّد عبد العزيز سيد أعمر حياته و آثاره ، عبد المالك شريفي ، محمّد سيد اعمر ، الطّاهر زيغمي ، المعهد الإسلاميّ لتكوين الإطارات الدّينيّة – غليزان ، مذكرة تخرج لنيل شهادة إمام مدرس ، دفعة رجب 1431هـ / جوان2010م .
6- الشّيخ محمّد بن الكبير في ذمّة الله مرثيّة من محمّد باي بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولاية أدرار.
7- مرثيّة الشّيخ محمّد باي بلعالم الشّيخ سيدي محمّد الرّقانيّ في ذمّة الله ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولا ية أدرار.
8- مرثيّة محمّد باي بن محمّد عبد القادر بلعالم لشيخه العلّامة السّيد مولاي أحمد الطّاهر الإدريّسيّ ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير – الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولاية أدرار .
9- هذه مرثيّة أخرى في وفاة العالم المرحوم الأستاذ الطّاهر مولانا أحمد من بحر الطّويل تتضمن تلميحاً للرّحلة التّي قام بها عبر الصّحراء الجزائريّة سنة 1395 هـ 1975 م لتلميذه محمّد باي بن محمّد بلعالم ، محمّد باي بلعالم ، خزانة المدرسة الدّينيّة مصعب بن عمير ، الرّكينة ، بلديّة أولف ، ولا ية أدرار .

ج- مذكرات الماجستير :

1-الإسهامات الإجتماعيّة و الثّقافيّة للشّيخ محمّد باي بلعالم بإقليم توات (1348هـ-1430هـ/ 1930م -2009م) أسماء بوبكر أبلالي ، إشراف د .عبد الكريم بوصفصاف ، الجامعة الإفريقيّة أحمد دراية ، أدرار – الجزائر ، 1433هـ-1434هـ/ 2012م -2013م) مذكرة ماجستير رقم : 900 ، المكتبة المركزيّة ، جامعة أدرار.

د- المقابلات الشّخصيّة :

1- ثراث محمّد باي بلعالم بين النّهب و الإهمال ، اِبن مالك ، قابله : محمّد بن أحمد فوضيل ، بلديّة أولف ، ولايّة أدرار ، 11 فبراير2017م.
2- واقع خزانة الشّيخ محمّد باي بلعالم ، حامد الأمين عبد الله ، قابله : محمّد بن أحمد فوضيل ، بلديّة أولف ، ولايّة أدرار ، 11 فبراير2017م.

هـ- مقالات علميّة :

1-ترجمة الشّيخ سيدي الحاج عبد القادر بن سيدي الحاج أحمد (ديدي) البكراويّ نومناس (1931-2008م) ، عبد المجيد طيّبيّ ، المركز الثّقافيّ الإسلاميّ ، بولايّة أدرار.

و- المواقع الإلكترونيّة :

1- عبد الرّحمن مصطفاوي : https://web.facebook.com/abdeerrahman.11

2- دراسات في النّقد الأدبيّ الحديث ، زهرة الإوركيد ، ج04 ، أرشيف أدباء و شعراء و مطبوعات ، منتديات ستار تايمز : http://www.startimes.com/?t=22241587

3- صوّر الشّيخ محمّد باي : https://www.google.com/search?

4- صوّر مولاي أحمد الطّاهر السّباعيّ : https://www.google.com/search

5-صوّر الشّيخ محمّد بلكبير: https://www.google.com/search?

6-صوّر الطّالب محمّد الزّاويّ : https://www.google.com/search?source

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصّفحة
- إهداء	
- شكر و عرفان	
- مقدمة.....	(أ– ت)
- الفصل الأول :مفهوم الرّثاء و حضوره في الشّعر العربيّ قديماً و حديثاً:.....	(11-01)
- المبحث الأول : تعريف الرّثاء لغة واصطلاحا:.....	(04-02)
أ- لغةً	02
ب- اصطلاحاً.....	03
- المبحث الثّانيّ: أقسام الرّثاء	(06-05)
أ- النّدب	05
ب- التّأبينُ.....	05
ت- العزاءُ.....	05
- المبحث الثّالث : نماذج شعريّة من الرّثاء:.....	(**11–07**)
أ- من الشّعر العربيّ القديم	07
ب- من الشّعر العربيّ الحديث	10
- الفصل الثّانيّ :الشّيخ محّمد باي بلعالم وإسهاماته العلميّة:.....	(**32–12**)
- المبحث الأول: التّعريف بالشّيخ محمّد باي بلعالم.....	(14-13)
- المبحث الثّانيّ: بعض مؤلفاته	(16-15)
- المبحث الثالث : مرثياته.....	(32-16)
- رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ أحمد الطّاهر الادريسيّ السّباعيّ.....	18
- رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ محمّد بلكبير.....	24
- رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ عبد العزيز سيد اعمر.....	26
- رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ محمّد الرّقانيّ الفقيه.....	28
- رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ محمّد الزّاوي	30
- رثاء الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ عبد القادر بكراوي	32
- الفصل الثّالثّ :الشّيخ محمّد باي في مرثيته للشّيخ عبد القادر بكراوي "أنموذجا":..	(**50–33**)
- المبحث الأول: ترجمة للشّيخ عبد القادر بكراويّ	32

- المبحث الثّانيّ :قراءة أسلوبيّة في مرثيّة الشّيخ محمّد باي بلعالم للشّيخ عبد القادر بكراويّ.....	32
- نصّ المرثيّة	34
- حول النّصّ	35
- اسلوبيّة العنوان.....	36
أولاً :التّكرار على المستوى الصّوتيّ	37
ثانياً :التّشاكل في المستوى التّركيبيّ	43
ثالثاً :التّقابل على المستوى المعجميّ	45
رابعاً : الانزياح في المستوى الدّلاليّ	46
- **المبحث الثّالث: نقد المرثيّة و تقويمها**	50
- **خاتمة:**	52-51
- **ملاحق:**.....	71-54
- **قائمة المصادر و المراجع** :.....	76-72
- **فهرست الموضوعات:**.....	78-77